

ديوان المعتمداني

للإمام الغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الأول

عالم الكتب

﴿ كلمة عن حياة المؤلف ﴾

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر
وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردي
رحمه الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو في سؤالاته عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله في اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الفنائم بن حماد
المقرئ إملاءً . وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتفشاك مشيبٌ
فأنى مالىس يمضى ومضى مالا يؤوبُ
فتأهَّبُ لسقامٍ ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهه بعيداً إنما الآتى قريبُ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) في نسخة « المفه » مكان « الفقہ » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أو حجم
فأين انتفاعى بالاصالة والحجا وما ربحت كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) ييصرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ واشترى دليلٌ على أن الأناامَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهمُ عنى رثانةُ كسوى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيه وصَلّى
لستُ أدرى أطلالَ ليلٍ أم لا كيفَ يدرى بذاك من يتقلّى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطلال ليلى أم لا *
والبيت الذى بعده رأيت فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثانة ملبسى)

(٣) لعل الغلط من الزاوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاعر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلمله اطلع عليه .

وكتاب جهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب مائلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخطُ العسكري أبي هلال
فلو أني جُعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى وأتاني السرورُ من كلِّ نحوٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى من حرورِ تشوى الوجوه وتكوى
بردَ الماءِ والهواءُ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلوٍ
ريحه تلمسُ الصدورَ فتشقى وغماماته تصوبُ فتزوى
لستُ أنسى منه دُمَامةَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضارةَ صحوٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببروٍ
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخفويٍ
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرُ بينَ سُفلٍ وعلوٍ
وهي تعطيكِ حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقةَ جَوٍّ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تلج مثلَ ربطٍ لبسته فوقَ فروٍ

فاستعارَ العراءَ^(١) منها لباساً
 فكانَ الكافورَ موضعَ ترب
 ولِبالِ أَطْلانِ مُدَّةِ درسي
 مرّاً لى بمضها ببقه وبمض
 وحديثِ كَأَنَّهُ عَقْدُ رِيّا
 في حديثِ الرّجالِ رَوْضَةُ أنسِ
 ومن شعره في ارتفاع السفل :
 لا يفرنكم علوٌ لثيم
 فارتفاعُ الغريقِ فِيهِ فضوحٌ
 سوفَ يَمْنى من الرّياحِ بنضو
 وكانَ الجانَ موضعَ قرو
 مثلاً قد مددَنَ في عمرِ لهوى
 بينَ شعري أَخَذْتُ فِيهِ ونحو
 بتُ أرويه للرّجالِ وتروى
 باتَ يرعى بأهلِ نبلٍ ومسرو^(٢)
 فملوٌ لا يُستحقُّ سَفالٌ
 وارتفاعُ المصلوبِ فِيهِ نكالٌ

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طولك عندي ففخر منه يا بير طير
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو عامر الشاعر
 قال كتب العنابي الى مالك بن طوف يستزيده ويستهديه ويدعوه
 الى صله الرحم والقراية بينه وبينه وكان ما كتب ان قرأتك من
 قرب منك خير من ان ابن عمك من عم تنفعه وان عبيدك من
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اهدام بالمنفعة
 عليك وان اهدام الى مودتك من هدي اليك ولذا لا قول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القراية لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب
قال ابو هذا رحمه الله

هذا اخر ما راينا فيمنه هذا الخاب وبابنه التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الخطوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواد بها وشذاها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجمد فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنيان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائنه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطرك مُداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبقيتُ بعدى قوافي تُعجبُ المتمثلينا
 لذيات المقاطع محكمات لو أن الشعرَ يلبَسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 تحالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 ألدَّ من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأثقلَ قيمةً وأقصرَ في سمع الجليس وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصيدة جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل
هي جوهرٌ نثرٌ فاب ألفته
في كل معترك وكل مقامة
فاذا القصائد لم تكن خفراءها
من أجل ذلك كانت العرب الألى
وتند عندهم العلا الأعلى التي
قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
وفند هذا مخمض كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص ^(٤) ، وكانت بعثته
ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجرق قال
تعتت العجلة فقالت فيه :

بمشتك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غياثك من تغيث
وقال الشاعر : مارأينا لغراب ^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشله ^(٦)
غير فند أرسلوه قابساً فسوى حولا وسب العجلة

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
السرعة ف قيل أسرع من حداجة ^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع لحظي النضر بن شميل ^(٨) - ابننا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشله كساء تجمع فيه
المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا الكشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلجان، قال لا ولكنك كشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوَزٍ » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عَوَزٍ » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا لحن قال ويحك أتلتحني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأنى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغر
قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن ببيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) الكشف : رثاء الهیئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج

منزلة بين مكة والمدینة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسننها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « ببيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازغة أقم علينا يوماً فلم أقم
 أي الوجوه اتجعت قلت لها وأي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن بيض بالباب يتسم
 قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فها أذحل أو قى سلمى
 فقال أحسن ماشاء، أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدني

حيث بقول:

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
 وميمده بصري وإن كان امراً مستزحزحاً في أرضه وسماؤه
 وأكون وإلى سره فأصونه حتى يحين على وقت أدائه
 وإذا الحوادث أججفت بسوامه^(١) فترنت صحيجتنا إلى جربائه
 وإذا دعا باسمي لتترك مركبا صعباً قعدت له على سبائه^(٢)
 وإذا رأيت له رداءً ناضراً لم يلفني متمنياً لردائه
 فقال أحسن ماشاء، أنشدني أقنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول:
 أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسي فأجبل الطلب
 وأحلب الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلباً
 إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغباً
 والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
 مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضرباً
 ولم أجده غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
 والتاج، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام: الابل . (٢) السبساء
 بالسكسر: منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
 (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النخيري ، من معاصري جرير والفرزدق .

قَدْ مُرِّزَقُ الْخَافِقِ الْمُقِمُّ وَمَا شَدَّ بَيْشَ رَحْلًا وَلَا قَبَا
وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالسَّرْحِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُخْتَرِبًا
فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالِكَ يَا نَضْر ؟ فَقُلْتُ أُرِيضُ لِي بِمَرِّ أَنْصَابِهَا وَأَمْتِدْهَا قَالَ
أَلَا ^(١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا ؟ قُلْتُ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرَاطَاسَ وَكَتَبَ
وَلَا أُدْرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتْرَبَ ؟ قُلْتُ أَتْرَبُهُ ،
قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَتْرَبٌ ، قَالَ فَمِنْ الطِّينِ ؟ قُلْتُ طِنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَطِينٌ ،
قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتْرَبُهُ وَطِنُهُ ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
لِخَادِمِهِ تَبْلُغْ مَعِيَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرُ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَمَا كَانَ السَّبَبُ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ كَلَّا أَمَّا لِحْنُ هَشِيمٍ وَكَانَ لِحَانَةً فَتَبِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفْظُهُ
وَقَدْ تَبِعَ الْمُفْقَهَاءَ ، فَأَمَرَ لِيَ الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرْفِ اسْتِفَادَةٍ مِنِّي .
وَأَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرْنَا الصُّوْلَى قَالَ أَخْبَرْنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُسْأَلَ أَبُو حَلَمٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّزْرُ بْنُ تَوَلْبِ الْعَمَكِيِّ ^(٢) :

وَفِيهِ كَالسِّيُوفِ أَحْصَرُهُمْ لَا حَصَرَ فِيهِمْ وَلَا بَجَلَ
بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِهِ وَبَلَوْا ^(٣)
لَا يَتَأَرَوْنَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٌ أَنْ أَنْزِلُوا نَزَلُوا
لَا يَبْتَرِي شَرِبْنَا اللِّجَاءَ وَقَدْ تَوَهَّبَ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلَلُ

فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقُ الْأَيَّاتِ وَوَهَبَ ^(٥) أَبَا حَلَمٍ .

(١) فِي نَسْخَةِ « أَفْلَا » . (٢) مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا ،
وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًّا . (٣) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأْرَى بِالْمَكَانِ : احْتَبَسَ .
(٥) فِي نَسْخَةِ « وَوَصَلَ » .

حاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقه إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذ ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام إليه حتى تهذب وتنقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذي
ينزع إليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنعه
ويدونه أو رياسة أرادها فارادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتنوأي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
وقيل : وإنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمُ لَهَا صَعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلٌ
وقيل : إن السِّيَادَةَ وَالرِّيَاسَةَ وَالْمُلَى أَعْبَاؤُهُنَّ كَمَا عَلِمْتَ ثَقَالٌ
وقيل : وإن جَسِمَاتِ الْأُمُورِ مَنْوُطَةٌ مُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ
وقلت : * إن الأمور مريحها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
اليسرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِفَتَى دَرَكُ الْمَلَأِ إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعَّبِ

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ

مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بميدتي على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريبٌ
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعف
الصحف غير مقنع يشق الراغب ويكفي الطالب فجتمعت ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراش : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يعتمد والاقتصار على أمر لا يتوخى سواء .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .
الباب الثانى : فى الحصل .

الباب الثالث : فى المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : فى الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : فى ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : فى ذكر السماء والنجوم والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : فى ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : فى ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : فى ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : فى ذكر الخيل والابل والسير والغلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : فى ذكر الشباب والمشيىب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : فى صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره فى صغره وكبره ولكن ينبغى أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية وبكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حينَ تَخْبُرُ أمرَه معائبُ حتى البدر أكلَفُ أسفَعُ
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاى والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قائه العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المملكات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شرب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملكُ^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأً لى جانب من الأرض فيه مُستِرادٌ ومَذْهَبٌ
مُلوِكٌ^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأُقرب
لحكمتك في قوم أراك اصطفتيهم^(٣) فلم ترهم في مُشكر ذلك أذنبوا
يقول لاتفنى على شكرى وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُسْتَبَقٍ أَخاً لَاتِلُهُ على شَمَتِ أى الرجال المَهْذِب
فإن أكُ مظلوماً فمبذُ ظلمته وإن يك ذا عُتْبَى فمُثْلِكُ يُعْتَب
يقول مثلك ينفو ويحسن وإن كان عاتياً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العنبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :
ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملك كواكب إذا طَلَعَت لم يَبْدُ منهم كوكب
يقول ما صلحت لى أنت فافى لا أريد غـيرك من الملك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملك» الموجودة في ديوان النابغة
المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى فى
ديوان النابغة المطبوع « كفعلك فى قوم أراك اصطفتيهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن يثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عُصْبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب
وقالت صفة الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلَ يَسْنُنَا قَمَرٌ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَانَ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّتْ مِنْ يَدْنِهَا الْبَدْرُ

وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكُوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكُوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع^(١) :

لَا تَعْدِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يتزحزون إذا رأوني مقبلا عن كل متكا من الاجلال

وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَانْكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من نخول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاتحة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوا الزوائد الحطيم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الاشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلد فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطالبه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتزلاً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عنرك وأصفح لقدرك هنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذاً معتزلاً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملوك والشعر تقبله الأقدرة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ماتني عنايتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكره فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رفد المستعين ، وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد ههناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فاذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلك أو من أنت سابقة سبق الجواد إذا استولى على الامد
ثم قال واللات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فابش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت - آيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمم - لا وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل فاتصّب بين يدي النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيا فارك - آيت اللعن - ابن جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لا أمسك أبهى من يومه وليلته .

(١) في نسخة « يتأني للأمور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أدواء اليمن

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أدواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشى ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه وأبعدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهلك أصوص من
جده ولغفرك أبسط من شبره ولائك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَالَهَا حَصْرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّهُ بِالْمَالِ فَوْقَ مَفْرَقِهِ فِي الْوَعْيِ ضَبِغٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
قَالَ فَتَهْلِلُ وَجْهَ النِّعَمَانِ بِالسُّرُورِ وَأَمْرٌ لِحِشْيِ فَمِهِ دَرًّا ، وَقَالَ لِمَثَلِ هَذَا تَرْتَاحُ الْقُلُوبُ
وَيُمَثِّلُهُ تَمْدَحُ الْمُلُوكَ ، ثُمَّ قَالَ الْخَلِيلُ أَفِيحَسَنُ زَهِيرٌ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ يُونُسُ
لِلْعَبَّاسِ أَنِّي لَا أُعْجِبُ مَا حَدَّثَ عَنْ قِصَّةِ النَّابِغَةِ وَشِعْرِهِ قَوْلُهُ :

* وَفِي الْوَعْيِ ضَبِغٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ بَيْنَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودِ
يُقَلِّبُ الْحَاطَّ الْمَهَابَةَ يَبْنِيهِمْ عُمُونَ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ
وَأَخَذَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ * كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا *
وَقُلْتُ : فَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَصْدٌ يَصْدَهُ أَنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّامَا ^(٢)
مَازَالَ يَفْتَنُ مَا لَا ثُمَّ يَفْرُمُهُ مَازَالَ لِلْمَسَالِ غَنَامًا وَغَرَامَا
أَغْرَ أَرْبَعٍ يَحْكِي الْغَيْثَ مَكْرُمَةً وَالنَّجْمَ مَنْزِلَةً وَالطُّودَ أَحْلَامَا
تَجَلَّه ^(٣) حِينَ يَبْدُو أَنْ يَقُولَ لَهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامَا
وَقَدْ تَدَاوَلَ النَّاسُ مَعْنَى قَوْلِهِ * كَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرُكِي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) في الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدر كته مفادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :

فأنت كالدهر مَبْتَوًّا حَبَائِلُهُ والدهرُ لَامِلَجًا مِنْهُ وَلَا هَرَبَ
ولو ملكْتَ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرِفُهُ في كل ناحية مافاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفِعَلَهُ لَسِكالُدهرٍ لاغاد بما فَعَلَ الدهرُ
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذه أبو تمام فقال :

خَسَعُوا لَصَوْنِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَادَ
فَالْقَوْلُ هَمْسٌ وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ اتِّقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سَرَادَ
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :

وَمَالَا مَرَى حَاوَلْتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمُ
يَلِي هَارِبَ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ لَا مَعَ
وقال البحتري ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .

(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجرة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسميه بحتري - قال الميرد :
أُشْدْنَا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن : لمجدهم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول أبي الطمجان ^(١) :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيئة ^(٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين اعتشوا ^(٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الاعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاء ولا قابلت به مدأ

إلا كفاه . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجائن

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فمظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعيدك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى

القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو

حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى

(٣) الدجى : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاءوا .

كأنما النجم حين قابله قبيصة ^(١) في نصاب مرآة
وقلت: بليل كما ترفو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كوا كبه زهر وصفر كأنها قبائع منها مذهب ومفضض
وقلت: وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى ولكنها عن وجهه تتفرج
ففيه ظلام بالصباح مقنع وفيه ظلام بالصباح متوج

وقول أبي الطمجان مولى ابن أبي السمط:

فتى لا يبالى المدلجون بنوره إلى مابه ألا تضيء الكواكب
له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب
وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنان لو أنك تستضيء بهم أضوا
وقول الآخر:

غلام رماء الله بالحسين يافعا له سماء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر
ولما رأى المجد استعمرت ثيابه تردى بثوب واسع الذيل واتزر
إذا قيلت العوراء غض كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لاتصر
وقول الآخر ^(٢):

إختر فناء بنى عمرو فانهم أو لو فضول وأقدار وأخطار
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير اسرار
هينون لينون أيسار ذوو يسر أرباب مكرمة أبناء إيسار
من تلق منهم تقل لاقت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيصة السيف كسيفته: ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتى.

وهذا عندى أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأنشدنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مدَحْتُكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدَحِ الأقوامِ حقَّ وباطل
يميشُ الندى مادمتَ حيًّا فانَّمت فليس لحيٍّ بعد موتك طائل
وما لأمريءٍ عندى مُخيلةٌ نعمة سواكَ وقد جادتْ على مخايل
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فَتَى لو ينادي الشمسَ أَلقتَ قناعها أو القمرَ السارى لأتقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ما هما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنتَ ابنُ مُسلنَطحِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يعتلج
لارتدَّ أوساخٌ أو لكانَ له في جانب الأرضِ عنك مُنعرَج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجزأ من السيل فيهزم ولا يهزم والهزم من الجراءة وترك الهزم من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُسمِنُ أبى اسحقَ طالَتْ يَدُ العَلَا وقامتْ قناةُ الدينِ واشتدَّ كاهله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفي الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالع في مدحه .

هو البحر من أي النواحي أتته فلجته المعروف والجود ساحله
 تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجار منك على صدى وكفك بحر لجة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة تخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا تجملون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الوردى عن كل مكرمه لم تلف نسبته إلا الى الهول
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فالنيل يشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عند لف الخليل بالليل
 لو عارض الشمس ألقي الشمس مظلمة أو زاحم الغيم ألجاها الى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم ان نابته نائمه وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

علم الغيث الندى حتى إذا ما حكاه علم البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله الليث مقر بالجلد
 وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر

والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن عائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبيل والجبيل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيمة في فاتك في بني هاشم :
 نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليلكم صلاةٌ واقتراءٌ
 أنجلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء
 وهم أرض لا رجلكم وأنتم لا عينهم وأرؤسهم سماء
 وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
 كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساءُ
 وأرضك أرض مكرمة بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء
 ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأس يُقدم كل هادي
 وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجد ومن شرفٍ ومن غناء محلّ البيض واليلب ^(٤)
 حلوا محلّهما من كل ججمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » عاش الى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .

(٢) هو التبعي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ، يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدرس عليه مائة كلام مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثِّلُ بينَ الرأسِ والذَّنْبِ
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنفُ والأذنانُ غيرُهُمُ ومن يُسوَّى بأنفِ الناقةِ الذَّنْبُ
وقال غيره : الناسُ أرضٌ بكلِ أرضٍ وأنتَ من فوقهم سماءُ
وقلت : أبشر فأنك رأسٌ والعلاجسدةُ والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصرُ
لولاك لم يَكُ للأيامِ منقِبةٌ تسمو إليها ولا للدهرِ مُفتخرُ

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبيهتني بالصرور والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهاهنا فقال الأخطل وما قالت يا أمير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغتُ كنفُ امرئ متناولٍ بها المجدَ إلا حيثُ مانلتُ أطولُ
ولا تبلغُ المهدونَ في القولِ مدحةً ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون

قولها قال هات فأنشد :

إذا مُتَّ مات العرفُ وانقطع النَّدَى من الناسِ إلا في قليلٍ مُصرَّد^(١)
ورُدَّتْ أكفُ السائلينَ ولمسكوا من الدينِ والدنيا بخلافٍ مُجددٍ
وليس بحسن عندي أن يقال للسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مُتَّ لم توصلْ بِمَرْفٍ قَرابةً ولم يبقَ في الدنيا رَجاءٌ لِنائِلٍ
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيعُ الناسِ والشهرُ الحرامُ

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة ^(١) :

لولا أبو دلف لم تحيي عارفةً ولم ينؤثروا مأمول بآمال
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال
وناقِلُ الناس من عدم إلى جدة وصارفُ الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تُنزلُ الأيامَ منزِلَهَا وَتُمْسِكُ الأرضَ عن خسف وزلزال
وما مَدَدْتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بآجال وآمال ^(٢)
تزور سخطاً فتَمسى البيضُ راضيةً وتَسَهَّلُ فتبكي أوجهُ المال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أَحَلَّكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ ^(٣)
إن أخلفَ القَطْرُ لم تُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرُهُ ذكرناه فَيَتَسَّعُ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيماً لَا أُنِيسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

-
- (١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف
البعلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .
(٢) في شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .
(٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا تجودٌ ويحيى عن ذمارهم وذا تعيشُ به الأُنعامُ والشجرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلْ للورى ثلاثُ شُموسٍ وجهك المستضى والقمرانِ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير ^(١) :

تراه إذا ماجئته مُتهللاً كأنك تُعطيه الذي أنت سائله
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولكن فرحت بما يُدِّلكَ إنه لما يُبيلُكَ من نداءه أفرحُ
ما زال يُعطى ناطقاً أو ساكناً حتى ظننتُ أبا عقيل يمزحُ
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائلُ نصيرٍ لا تسلهُ فانهُ أحنُّ إلى الارفادِ منك إلى الرِّفْدِ
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطينى حتى حسبت أنه يودعنى ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لآياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطانى
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائى فى خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوقَ المهورِ غرابةً ولا غالياتِ المالِ حلياً على نُحرِ
فتى كان مكراماً لنفسٍ كريمةٍ مُهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ القدرِ
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبدع فى ذلك
البحترى فى قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً قوجهك دونَ الردِّ يكفى المسلما
ومن الجيد فى ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبى سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير فى الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخيه الخنساء شاعرة .

كأَنَّمَا القطرُ من ندى يده
وقول أبي الأسد :

وَلَا تُجِئْ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى
أَرَادَتْ لَتُنْثِي الْقَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّعَتْ
لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّمَا
وقريب منه قول أبي تمام :

عَمِيدِي بِهِمْ تَسْتَنْزِلُ الْأَرْضُ إِنْ زَلُّوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِقَةٍ
وقلت : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَعَلَّ إِلَيْهِ
وقلت : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تَوَرَّدُ
فَنُيُوكُ مَمْدُوحًا يَنْظُمُ يَصُوغُهُ
وقال البحتري :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُّمُ حَاقَهُ
وَقُتِّتَتْ جَمْعُ التَّقَى أَطْرَافَهَا
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا النَّهْيُ فَإِذَا بَدَتْ
طَلُقُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ (٣)
جَذْلَانُ (٤) يَطْرَبُ لِسُؤَالِ كَأَنَّمَا
وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ویدی أحاطهما بجاء السؤدد » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التبسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرَّ أبلج يكسو نفسه حُللاً من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صلب
كأنه وهو مسئولٌ ومندحٌ غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
يهترُّ عظمه عند الحمد يسمعه من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل ^(١) يبقاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت : وقد يؤنسُ الزوارمك إذا التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهدٌ

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعباً كانك بالإنقاش تنفُ شاربه
وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنى حاولت تنف الشعر من آنا فيهم
قم فاسقنيها بالكبير وغننى ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول جرير ^(٢) :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ
وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي
إِنْتِقَامٍ) (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ) (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)
وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة

المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ

(١) في الديولن المطبوع « موكلًا » . (٢) هو جرير بن عطية الخطمي ، قال
ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الأسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطلي ،
وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق
بكى جرير وقال لني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تُمِيمٍ فَلَ كُفْبًا بَلَفْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ غَضَابَا

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلَّمَا أَزْدَادَتِ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ بِيغْضَتِهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قاله العرب قول حسان^(٢) :

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتِهِمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تتبعهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصودة طارض بها الدريدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحارث :

اتَّهَجَوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرَّكَ الْخَسِيرَ كَمَا الْفَدَاءَ

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكرائهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دَعاهُ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَوْلَايَ مَكَانِ
وقال ابن هرمة ^(١) في أثر الكلب بالضيف :

وَمُسْتَبْنَحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ نُوبَهُ لِيَسْقُطَ عَنْهُمْ وَهُوَ بِالثُّوبِ مَعْصَمُ
عَوَى فِي سِوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نُومُ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيِّبِينَ مَطْعَمُ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكْلُمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ
فَبَابُكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٍ طَامِرَةٍ
وَكَلْبِكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةِ
وَكَفْتُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُطْطِرَةِ
فَنِكَ الْعَطَاءِ وَمَنْكَ الْبِنَاءِ لِكُلِّ مُحْضِرَةٍ سَائِرَةِ

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

مَلُوا قِرَاهَ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ وَضُرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقَبَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرَفَيْنِ أَيَّامَ الْقَبَابِ
وَأَيَّامَ لَنَا قَصَرَتْ وَطَالَتْ عَلَى فِرْعَانَ نَائِمَةِ الْكَلَابِ
وقال آخر : وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَافِي جِبَانِ الْكَلْبِ مَهْزُولِ الْفَصِيلِ

معناه أن الكلب يضرب إذا نبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي الكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تم فيه مايسرُ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرةٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءهم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضررنا يُراد الفتى كما يضرُ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوسٌ في مجالسهم رزانٌ وإن ضيفُ ألمٍ فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبهم بدوراً وإن ركبوا فاتهم حتوف
 وقال آخر : فذلل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالقواضل
 فما انقبضت كفاهُ إلا بصارم ولا انبسطت كفاه الابنائيل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقفَ الايامَ بالعتب والرضا على بذلِ مالٍ أو على حدٍّ منصل
 وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها غمامةٌ غيثٌ أو ضبابةٌ قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه فنى بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
 فلامن بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلبها
 إذا ماتلظي في غيٍّ أصعق العدى وإن فاض في أكرم (١) غمر الربا
 رزينٌ إذا ما القومُ خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرم »

حياتك أن يلقاك بالجلود راضيا وموتك أن يلقاك باللباس مفضيا
 حرون إذا عاززته في مله فان جئته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به المعجز مقعداً وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلحم الحوار فلا أنت حلو ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بني الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخاً يضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشط يقبله خصي أصلع

وقد أحسن البحتری في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للباس والتقى^(٢) فله تقواه والمجد سائر
 له اللباس يخشى والسماحة ترتجى فلا النيث ثانيه ولا الليث طائر
 كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصواته لا يستطيع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صغارها
 وكائن ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به المعجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيب^١ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^٢ فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^٣ فما يبق من المسال باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل^(٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :
أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفتنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
فان يك باقي أفك فرعون فيكم^٤ فان عصا موسى بكف^٥ خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كن باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف^٦ خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في
صفة الفرس :

كأن^٧ أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كأن » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ، وكان
من هجر الأوئان ونهى عن الخمر قبل الاسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يظن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتمجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطراز الأولِ
يفشونَ حتى ماتهُرُ كلابُهم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
وقبله : لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلقَ في الزمانِ الأولِ
أولاد جفنةٍ حولَ قبرايبهم قبر ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ
ثم قال : فلبثتُ أزماناً طويلاً فيهم ثم ادكرتُ كأنني لم أفعلِ
وفتي يحب المجدَ يجمل ماله من دون والده وإن لم يسألِ

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بيهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجدود وغيرها من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فهن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل^(١)
وقال السموءل : وأيامنا مشهورةٌ في عدونا لها غُرٌّ معروفةٌ وحجولُ
أراد بالغة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم * فقال :
سودُ الوجوه لثيمةٌ أحسابهم فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخرِ
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

يا قمرأً أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أترابِ
ييكى فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه^(٢) بعنابِ
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندبُ شجواً بتخاليطِ

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسكى فيندرى البعر من كوة ويلطم الشوك يملوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأننى لم أفعل * من قول أبى كبير :
فأذن . وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شئ * كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدج ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قوم^١ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النماء^٢ فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا^٣ عليهم لا أبأ^٤ لا ييكم^٥ من اللوم لو سدوا المكان الذى سدوا
ويعدلنى أبناء^٦ سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة^٧ والحد
ولعمري ان معانى هذه الأبيات أنكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى والجند - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجند خلاف
الهزل والختار الحد بالحاء . يقول الخطيئة فى بنى لأمى بن شماس من قريع ، وكان
الزبرقان بن بدر لقى الخطيئة فى سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان أنى أريد وجهاً فصر الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمى فهدسوا الى الخطيئة
وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد^٨ الى كل طنب من أطناب بيتك
حيلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمت^٩ ياساً مييناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر^{١٠} كالياس
دع المسكرم^{١١} لا ترحل^{١٢} لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم^{١٣} الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب^{١٤} العرف^{١٥} بين الله والناس

فاستعدى الزبير فان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما بهجاء ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما أثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذى قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فسأني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نعيم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغرباً لا إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما طوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لى وجهاً قبح^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتاً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخفُ شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أنجل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أنجل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال لعل ان حملت عليه لا أموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذةٌ غيرَ أنتى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تَمسكُ بالعهدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمي قال أنشد الخطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تباكر ورد المساء فى السبرات
يزيل القتاد جذبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرسات
وكان هجاء قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لستم دفرٌ مثل الثيوس ونسوةٌ مماجين ^(٣) مثل الآتن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابن خطاطب تجاهل بعدما رأيت له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قبيل ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فانهم أولو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهلوا فالجهل يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أيسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم نعل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قبيل . وقالوا أمدح بيت قبيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأنباري عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دحامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أحب فها إلى ذلك فضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلّى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشتو للنحر
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا على قللت يأمر المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الأسدي :

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «نناء» مكان «فناء» . (٢) بعض العجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقى ويبقى مریرها
 ثم قال حدثني يامفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 مارضيت ان جعلت أختها جبالاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الأورى لخيار الناس كلهم وشرهم لشرار الناس سوار
 منبه الذکر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي كالشمس لا تخفي بكل مكان
 وقال بشار : أنا المرعث لأخفي على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
 وقلت : أنا أمل ان تنال ندى كريم نداه أول والغيث ثاني
 ويجري والحجرة في عنان فلا يخفي على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس بنأي على نأي المحلة والمكان
 إذا عبس الزمان فل إليه تجده البشر في وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للأذى وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصاء ولا عنه مرجع
 أغر شهر في البلاد كأنما به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ المعلي ومن حسب العشرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قاتله العرب قول الخطيئة :

متى تأتته تعشوا الى ضوءِ ناره تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد
وقالوا أمدح المدح ما يكون بالتمصيل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتما صفدى ولكن كنت لي مثلَ الربيع حياً وكان خريقا
وكلاهما اقتعد العلاء فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كواكبُ مجدٍ يعلم المجد أنها إذا طلعتْ بادتْ بصفر كواكبها
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الأعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذلل لك الدهر
فأنت كاقبال الشبيبة والصبا تطيبُ بك الدنيا وينعمرُ العمرُ
وليس كرامُ الناس إلا كواكبا على صفحتي ليل وأنت لهم بدرُ
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما أولئك أئساد وأنت لهم بحرُ
فإن أظلم الأحداث واسودَّ ليلها فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجرُ

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندى والندى لما جرى وجريت كان قطوفا
(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرًا على المجد والملا . فان الملا روضه وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلة لها أنجم من زهر أخلاقكم زهر
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ من تعطه اليوم نائلًا . بكفك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجود لا يدني من المرء حنقه . كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك الله ياتوب إنها لقاء المنايا دارعًا مثل حامر
فنعم فتى الدنيا وان كان فاجرًا . وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحياء من فتاة خريفة . وأشجع من ليث بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها . فيظلمها عنه ثنايا المصادر
يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الاولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع حاجة بلبان أخرى . كذاك الحاج ترضع باللبان
يقول فيرفعها المشنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :
فأقسم أبكى بعد توبة هالكًا . وأفعل من نالت مصروف المقادر
وكان بيت الأعشى :

تشب لمقرورين بصطليانها . وبات على النار الندى والمخلق
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت له أقبل فانك راشد . وإن على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بمدائح النساء .
وتوبة هو ابن الخير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصر^١ فقره على نفسه ومشيع^٢ غناه^٣
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معا سادتها عدوه بالخنصر^٤
ألْبسه الله ثياب العِلا فلم تَظَلْ عنه ولم تقصر^٥
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خلالٍ قد عُرفنَ له هل سب من أحد أو سبَّ أو بخلًا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغِيثِ فانه حسنُ الفعلِ ضعيفُ خبطِ الدرهم^٦
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تَظَلْ عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ^٧
فعمى عنها ناظرَاهُ كأنما بعوراءٍ عيني جده كان ينظر^٨
سبقت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصّر^٩
بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قبل قول الأول :

قوم سنان أبوهم^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزعُ الله عنهم ماله محسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحاسدِ النعمى على المحسود
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت
إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
أن توجد الدهر إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناس منزلةً
من عاش في الناس يوماً غير محسود
وصحته يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جدهان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لأمريءٍ أن حبوته
وليس بشينٍ لأمريءٍ بذلٌ وجهه
بيذل ^(٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
الك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلق يوماً على عِلاتِه هَرِمًا
لو نال حىً من الدنيا بمكرمة ^(٣)
يلق الساحة منه والندى خلقا
أفق السماء لثالت كفه الاقفا
قد جعل المبتغون الخير في هَرِمٍ
والسائلون الى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للنايفة وروى لسعيد :

والله والله لنعمَ الفتى الا عرجُ لالنكس ^(٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمحروب والمرجل والجمال ^(٥)
والطاعنُ الطعنة يومَ الوغى ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي
النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .
(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرحل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

مُخَلِّقٌ أَنَامِلُهُ لِقَائِهِمْ مُرْهَفٌ
ولبث فائدة وذروة منبر
يلقى الرماح بوجهه ويصلده
ويقيم هامة مقام المغفر
ويقول للطرفِ اضطرب لشبا القنا
فهدمت ركن المجدان لم تعقر
واذا تأمل شخص ضيف مُقبل
متسربل سربال ليل أغبر
أوما إلى الكرماء هذا طارقٌ
تحرّني الأعداء أن لم تنحر

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي
حفصة ^(٢) في معن بن زائدة الشيباني ^(٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
أسودُّ لها في غيل خفان أشبلُ
هم المانعون الجارَ حتى كأنما
لجارهم بين السماكين منزلُ
بهاليل في الاسلام سادرا ولم يكن
كأوهم في الجاهلية أول
هم القوم أن قالوا أصابوا وان دعوا
أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاثُ بأمثال الجبال حياءهم
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ
ولا يستطيعُ الفاعلون فعالمهم
وإن أحسنوا في الثائبات وأجلوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الرأ مراعة : أكلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخ لراغب أوراغب ممن نصيب جوائح الازمان
معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان
مطر أبوك أبو الاهلة والذي بالسيف حاز هجائن النعمان
نفسى فداء أبي الوليد إذا علا رهج السنايك والرماح دوانى
فقال يحى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان اشبل
وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يوماه علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغر محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
أبو يوسف القاضى - وكان عدیل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى
بمثل قول القائل بنو مطر يوم اللقاء كأنهم وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخذا فبرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يُحمد الاجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار مغرته تضاءل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حذو عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزبر : الانتهاز والمنع والتهى . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنة في تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

من لم يكن حذراً من حدّ صوته لم يدر ما المزيجان الخوف والحذر
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته فان أمرّ فخلوْهُ عنده الصبر
 سهل الخلاقِ إلا أنه خشنٌ كَينُ المهزّة إلا أنه حجير
 لاحيةٌ ذكرٌ في مثلِ صَوْلته ان صال يوماً ولا الصمصامةُ الذِكرُ
 إذا الرجالُ طغت أراؤهم وعموا بالأمر رُدَّ اليه الرأى والنظر
 الجودُ منه عيانٌ لا ارتيابَ به إذ جودُ كلِّ جوادٍ عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأَفوه :
 أوفوا من المجدِ والعلماءِ في قُللٍ شُمِّ قواعدهنَّ البأس والجودُ
 سبط اللقاءِ إذا شمت مخائِلهم بُسل اللقاءِ إذا صيد الصناديدُ
 مُحسدون ومن يَعلقُ بحبلهم من البرية يُصبحُ وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحةٌ بيضاءُ يندى بنانها قليل إذا اعتل البخیل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وُعِدْتَ غداً عادت عليك شمالها
 ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضَرَبنا في البلادِ فلم نجد أحداً سِوَاكَ الى المكازمِ يُنسبُ
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولا فأرشدنا الى من نذهبُ
 وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رَأَيْتُكُمْ بَقِيَّةَ حَبٍّ قَيْسٍ وهَضْبَتُهُ الَّتِي فَوْقَ الْهَضَابِ
 تُبَارُونَ الرِّيحَ إِذَا تَبَارَتْ وَتَمْتَلُونَ أَفْعَالَ السَّحَابِ
 يذِكرني مقامي في ذراكم مقامي أَمْسٍ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول على بن جبلة المعروف بالمكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداء ومختصره

فاذا ولي أبو دلف وولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراء
لدمامته وعمسه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
الفاظه أفاض كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة غنى وما أظلم من استبرا
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفاً بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدماً أبو دلف بدؤاة وقرطاس وكتب :

ريمت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأطلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرفته فلما رجع
دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف ^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود أزرين به كان دُجاء لهوى البيض سبب ^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الفض ظلاً يُستلب

كان الشباب لمة أزهي بها وصاحباً حرّاً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرن بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربرب عن أطفاله
مطر د يرتج في أقطاره
تحسبه أقعد في استقباله
وهو على إرهاقه وطيه
تقول فيه جنب إذا اثنى
يخطو على عوج يناهين الثرى
تحسبها نائمة حين خطا
يرتاد بالصيد فعارضنا به
لا يبلغ الجهد به راكبه
إذا تظنينا به صدقنا
ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه
وخلف الدهر على أعقابه
فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
كرونى السيف انبلاجا بالندى
لاوسنت عين رأت غرته
لولا الأمير لغدوننا هملاً
ولم يقم بيأس يوم وندى
تكاد تبدى الارض ماأضمرة
ويستهل أملاً وخيفة
وهو وان كان ابن فرعى وائل
وبعداه وعلا آباءه
ياواحد الدنيا وياباب الندى
بأعوحى ذنبي المنسب
كلما جالت فيه ريح فضطرب
حتى إذا استدبرته قلت أ كـ
يقصر عنه الخزمان واللبب
وهو كمثل القدح مافيه جنب
لم يتواكل عن شظا ولاعصب
كأنها واطئة على نكب
أوابد الوحش فأجدى واكتسب
ويبلغ الرياح به حين طلب
وان تظنى فوته الطرف لزب
وكل بقيا فالى يوم عطب
فى القدح فيه وارتماج ماوهب
ينهض به فراج هم وكرب
أو كغراره على أهل الريب
واستيقظت نبوته من النوب
لم يمتثل مجد ولم يرع حسب^(١)
ولا تلاق سبب إلى سبب
إذا تداعى خيله هلا وهب
إذا استهل وجهه وان قطب
فبسماعيه ترقى فى الحسب
تحوى غداة السبق أخطار القصب
ويا مجير الزعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولاندى ولا قريش^١ عرفت ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحجا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقرّ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(١) إليه حتى مست ركبته ركبته فلما
 بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لاملأني الله إن لم أملك يا غلام كم في
 بيت المال ؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهري قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه علي .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :
 كفى القبائلَ معنٌ كلٌّ معضلةٌ يحمى بها الدينُ أو يُرعى بها الحسبُ
 كنز الحامدِ والتقوى ذخائره وليس من كنزه^(٢) الأوراق والذهب
 أنت الشهابُ الذي يرمى العدو به فيستنيرُ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القومُ الذين لهم في كل يوم رهان تحرزُ القصب
 ان الفوارسَ من شيبان قد عُرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناسُ قبل اليوم أنهم أهلُ الخلوّم وأهل الشغبان شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده
 اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قومٌ لكي يُدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣) :

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الاصل (كثرة) (٣) هو طريح
 بن اسماعيل الثقفي ، أكثر شعره في مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفئك الله بالتمكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد

وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدُّه أو تعرضَ سُودُّه تسامى له ضُخْمُ الهموم مُهمام
إذا اهتزَّ للهباءِ فهو مُهندُّه أو اهتزَّ للافضال فهو غمام
تواضع وهو النجم عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواح وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقبية ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمر عام
يريدون منه أن يرضنَّ وإنما أرادوا مُجودَ الغيم وهو رُكام
ولا عيبَ فيه غير أن ذوى الندى خُساسٌ إذا قيسوا به ولثام
باغت من العلياء ما فاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فن مُبلغ عني الاكرام انهم اذا استيقظوا للمكرمات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميشل^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت ركعتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتني أمضى لشأني مطلقاً فبليتُ بعدك بالنسا والأجدع
يا من يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا أنصحنك في المشورة والذي حجَّ الحجيحُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خلود شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر

الخزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه ^(١) فأتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة للمعاني الحسن قول البحتري :
ذات حسن لو استزادت من الحُسن اليه لما أصابت مَزِيداً
فهى الشمسُ بهجةً والقضيبُ اللدن ^(٣) ليناً والريمُ طرْقاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عددت يحبي وعمرا وإياساً ^(٤) وطامراً ووليداً
وعبيداً ومسهرأ ^(٥) وجدياً وندولاً وبحترأ وعثوداً
لم أدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليفُ علاءٍ ومجد وفخرٍ وبأس وجودٍ وخير وخير
أضاء فاطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور
وقلت في المديح أيضاً :

من الغرِّ لآحوا شمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً
ومن المديح البليغ قول الأَوَّل :
متبذل في الحَيِّ وهو مُبجل متواضعٌ في القوم وهو مُعظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحتري «الفض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري
«أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسهرأ» والتصحيح
من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الاقوامُ أن يتناولوا بلا مِنة أحسنتَ أن تتطولا
فمظمتَ عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبل القدر أن تنبلا
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :
دنوتَ تواضعاً^(١) وعلوتَ قدرا فإلاك انحداراً وارتفاعاً^(٢)
كذلك الشمسُ تبعدُ أن تسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاع
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحطَّ ضوءُ البدر وارتفعَ البدر
وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يمم^(٣) :
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلعا
لا مترفاً رِخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
ما انفكَّ يحلب هذا الدهر أشطره يكون مُتبعاً طوراً ومُتبعا
لا يطعمُ النومَ إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكادُ حشاه يحطم الضلعا
حتى استمرَّ على شذر مريرته مستحكما الرأي لا قحماً ولا ضرعاً
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولستُ بمفراح إذا الدهرُ سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازلُ اخدانَ الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزدد^(٧)
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

- (١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع : دنوتَ تواضعاً وبعدتَ قدراً فشأنك انحدار وارتفاع
(٣) الايادى شاعر جاهلى ، ومطلع هذه القصيدة «يادارَ عمرة من محتلتها الجرطا» .
(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله
من هوأزن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .
(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القرّ جرّاة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كميشُ الأزار خارجُ نصفُ ساقه ضبورٌ على العزاء ^(١) طلاعُ انجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث في غد
 إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ ترينت لرؤيته كالماتم المتبدد
 فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرائى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه ^(٢) ففدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأخيفَ في ذات الآله وخيفا
 يقظان أحصدت التجارب جزمه ^(٣) شرراً وثقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشعل التى ^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله في مراثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هريما
 وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطىء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقتلای سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً ففدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) في الديوان « عقده » . (٤) في الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدي غارة ومعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وان من الساحة جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عمايتين تليدا
متوقدٌ منه الزمانُ وربما كان الزمانُ بآخرين بليدا
وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسماحه ظهرٌ عليه ما يخيب وشافمٌ
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تقول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتكافأ الناس شتى خلاهم وما يتكافى في اليمين الأصابع
إذا ارتدَّ صمتم فالرؤس نواكسٌ وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلب ما ينفك من يقظاته ربأيا على أعدائه وطلائع
جنانٌ على ما جرت الحرب جامعٌ وصدرٌ لما يأتي من^(١) الدهر واسع
جديرٌ بأن ينشق عن صمّ وجهه ضبابه نفع تحته الموت نافع
تذود الدنيا عنه نفس أبيّة وعزم كصدر^(٢) الهندواني قاطع
بعيدٌ مقبل السرّ لا يدرك التي يحاولها منه الأريب المخادع
ومنكمم التدبير ليس بظاهر على طرف الرائي الذي هو تابع
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه متى هو مصبوب عليهم فواقع
لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الآيات ولا أعرف أحداً
يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحهم إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدّ عند الجد أرضاك جدّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله .

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
وَمَنْ الْمَدِيحُ الْمَفْرُطُ قَوْلَ مَنْصُورِ النَّمْرِى فِي هَارُونَ :
إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لَهُارُونَ إِلَّا مَامَ نَظِيرُ
فَضْلِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُمْ ، وَهَذَا مَكْرُوهٌ جَدًّا وَأَكْرَهُ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخَلْقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ سَوَاءً فِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ .
وَبَعْدَ بَيْتِ النَّمْرِى آيَاتُ جِيَادٍ مِنْهَا قَوْلُهُ :

مَنْعَ الْحَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بَظْلَ النَّدَى يَسْطُو بِهَا وَيَسُورُ
كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلٍ كَثِيرٍ :
عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وَهَذَا مِنْ قَوْلِ الْأَخْطَلِ :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكُمَا فَذَا النَّدَى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذِّلِّ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
بُرُوحٍ وَيَغْدُو سَاجِدًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرُ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عُرْتُ بِمَكْتَرَثٍ لَكِنْ لَهْنٌ قَهُورُ
يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدِهِ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ
وَلَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجُودَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ :

وَقَالُوا أَمْدَحْ بَيْتَ قَالِهِ مَحْدَثُ قَوْلِ النَّمْرِى فِي هَارُونَ :

إِنَّ الْمَكْرَمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةً أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :
 أتاك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
 وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي ؟ وأنت منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :
 أنغدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال يرب الدهر مضطلعُ
 يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نخشع
 لما أخذتُ بكفى جبل طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع
 ان الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمرٌ ذكرناه فيتسع
 أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابي طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فإن أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمرٌ ذكرناه فيتسع
 فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعى أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها است تم
 إذا عرضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاء وصرب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جثته
إذا أبقتك جسام الأمور
فتى لا يبيت على رمله
يحب العطاء وسفك الدماء
وقال البحرى :

إذا المهتدى بالله عدت خلاله
وقلت : كم غاية لكم تقاصر دونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يُبدد شملها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت
وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها كأنما
ودون علامهم للمسامين برزخ
بتدبير مأمون على الأمر رأيته
وذوها جسر لا يحجب الغيب دونه
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت ابراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التيمى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد (١) أسر وأضرما
يناجى له نفساً ترسع بهمة إلى كل معروف وقلبا مظهرما

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى الخوف الله أن يتكبّرا
 طويلُ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلمُ رفل ذيله وإن شمّرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النّظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبيّة : أخبرنا
 أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدّثني محمد بن ناجية
 الرصافي قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
 السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
 مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان
 ابن ثعلبة فدفعتم إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
 ورمح مركون يلعب سناناه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ
 على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كميون أخشاف
 الأطباء فقالت إحداهن اطمئن يا حضري فقلت وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن
 المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي إلى جبل
 يمصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
 كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي
 سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحي
 في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
 وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيّة حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
 وقي بهم حملاً وجوداً وسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاره وأطعنهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرونان مؤتلفان
فقلت الآن ذهبت غي الوحشة وسكنت الروعة فأني لي به قالت يا جارية
أخرجي فنأدى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
في جمع من بني عمه فرأيت غلاماً حسناً ^(١) اخضر شاربه واختط طارضه
وخشن جانبه فقال أي المتعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ بيدي وجلس
وجلس ثم قال يا بني أبي وذوي رحى أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري
فمن أرادته فقد أراذني ومن كاده فقد كاذني وما يلزمني من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الدم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنج
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلي .

ومن المديح البارع قوله الأخطل :

شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم ^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا
أخذَه خارِجة بن مَليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجب الليلُ في ظلماته زهروا
قومٌ إذا شومسوا لَجَّ الشَّمسُ بهم ذاتِ الأباءِ وإن يأسرتهم يسروا

(١) في الأصل « حين » .

(٢) في الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحرى :

حرونٌ إذا عاززته في مُلمة
ونحوه : كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته
وكالسيفِ ان لا ينثه لانَ مَنته
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلمائه زهروا * قول الأشجع :
إذا غاب عنا الفجرُ خضنا بوجهه
وقال خارجة أيضاً :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله
وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نورٌ تستضيء به
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهم
وان ناب خطبٌ أو المِت مُلمة
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدِّينورى :

ولأئمة لا أمتك يا قيسُ في الندى
أرادت لتنتى الفيضَ عن عادة الندى
فقلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد مآقضى مآربه
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق الخضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسم مَجْد أنت غاربه
بأيت شعري هل يستطيع شكركم دهر مساعيك فيه مناقبه
وحين أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطتم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لا تغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الفنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من حطه ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تغض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بديته مثل تدبيره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الفنى » من قول الأول :

له نار تشب بكل أرض إذا النيران جلت القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرجبهم ذراعا

(١) يكرر المصنف بعض الآيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلى ، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورث الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق ندهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجدكم بعدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمى
حمص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
همُ حضروني والمهامهُ ينفنا كما أرفض غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه ينفنا * أبدع وأحسن من قول
نهشل * أتانى وأهلى بالعراق ندهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجمفر لما أتانا كما سرَّ المسافر بالأياب
كمطورٍ يبلده فاضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :

لعمري نعيم الغيث غيثُ أصابنا يبغداد من أرض الجزيرة وأبله
ونعيم الفتى والسد بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أظمانه وجائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ فجعلتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ إليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلي الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :

نفسى فداءُ أبي العباس من رجل لم ينسنى قطُّ في نأى ولا كشب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النسب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بمث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريد فأنه نعيمه فقال جرير يرثيه :
 بنفسي امرأة والشام بيني وبينه أتتني يبشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فانتحى على العظم حتى مات قوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جواده ويوم عطاء ما بفرح نائله
 ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
 أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
 يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سمطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكأله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحت كربة
 وأوحشت غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وفاه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازي
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تهمل
 (٢) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في
 جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيس فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذى بناه لقيس في القديم رجاها
وهل أحدٌ أن مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمس في جوِّ السماء بناها
لهيات ما عيا القرون التي مضتْ ما ترُّ قيس واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أتت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شفته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقتك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمل
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفيم
وكأنَّ ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدَّم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبتُ نجاته وأنتَ امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودٌ تنى اب لا تزال تُظلنى يدُّ منك قد قدَّمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار: الحراث . (٣) فى الأصل «يخلف» .

فلو أن مجداً أوندى أو فضيلةً تخذُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلدُ
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولى عن أبي العيَّاء عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :
لله دَرْكٌ أىُّ جنةٍ خائفٌ ومتاع دُنْيَا أنتَ في الحدِّ ثَانِ
متخبط يَطَأُ الرجالَ غُلْبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان
وتفرج البابَ الشديدَ رتأجه حتى يكونَ كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتُبِكَ الاحسابُ أى حياءَ وحيا أزمةٍ وحيةٍ واد
طائقٌ مُعتقٌ من اللوم (٣) إلا من مقاساةٍ مغرِمٍ أو نَجَادٍ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومذهبِ الألفاظِ مَنْطقُهُ مافيه من خَطَلٍ ولا مَينِ
ما شئتَ من ظَرْفٍ ومن شيمٍ مافى محاسنهن من شين
ما كان أحوجَ ذا الكمالِ أنى عيبٍ يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تقليل الحز وإصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا والمكرماتِ ويا كثيرَ الحاسدِ
شخصَ الانامِ إلى كمالكِ فاستعذ من شر أعينهم بعبٍ واحدٍ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقصِ حادثٌ وأبى لك التكميلُ أن تتزيدا
وكأنتى بك قد نفوتَ محمد في النائباتِ كما دعوتَ محمداً
ذِ المَتِّ كالسيفِ الحسامِ مجرداً للحقِّ أو مثل الهلالِ مجدداً

(١) المتخبط : القهار الغلاب . والغلبة بضمم تين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غمم الدجى ان الزمان مُبيضٌ ماسودا
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيف مُجَرَّدٌ في الوغي وأخذ في الهيجا وردَّ الى الفم
 ومن أبلغ المديح :
 بديته وفكرته سواءٌ إذا مانابه الخطبُ الكبيرُ
 وصدره فيه لهم اتساعٌ إذا ضاقت من لهم الصدور
 ومن أبلغ المديح قول البحترى :
 أخذوا النبوة والخلافة وانثنوا بالمكرُماتِ كثيرِها وقليلِها
 وإذا قریشٌ فاضلتك فضلتها بأبي خلائفها وعم رسولها
 وجوادِها ابن جوادِها وكریمِها ^(١) بن كریمِها ^(١) ونیلِها ابن نیلِها
 لو سارت الأيامُ في مسعاتهم لتناها لتقطعت في طولها
 رفعتهمُ الآياتُ في تنزيلها وقضت لهم بالفضل في تأويلها
 وإذا انشعبت أخذت خیرَ فروعها وإذا رجعت أخذت خیرَ أصولها
 وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ليحيي كثيرٌ في العلا والمكارم
 يذكركني جودُ النائم جوده وشكرى له شكرُ الثرى للنائم
 تخال به بدرًا مع الليلِ باهرًا يلوحُ على عرف من الليلِ فاحم
 يديل من الأيام والدهر منصف بعزم على الأيام والدهر حاكم
 يیزُّ من الانجاء كل مساور ويعلو من الاججاد كل مكارم
 بخلق كتين الصخر في كف لاس وطور كجری الماء في عين حاتم
 ورأى كصدر الراغية شارع وعزم كحدَّ المشرقة صارم
 على بلدة يسقى الضراغم ماؤها ويسقى بها الى دماء الضراغم
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشریفها ابن شریفها» مكان «وكریمها ابن كریمها» .

رأيت لعياشٍ خلائفَ لم تكن له كرمٌ لو كان في الماء لم يغيض
 أخو عزّ مات بذله بذلٌ مُحسنٍ إلينا ولكن عُذْرُهُ عُذْرٌ مَذنب
 بهو لك أن تلقاه في صدرٍ مخفٍ وفي نحرٍ أعداءٍ وفي قلبٍ موكب
 وماضيقٍ أخطارٍ البلاد أضاقني اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
 وهذي ثيابُ المدح فاجرر ذبولها عليك وهذا مركبُ الحمد فاركب
 وقد أحسن التلوخي في أبيات له منها :

وفتية من حيرٍ حمرٍ الظبي بيض العطايا حين يسودُّ الأمل
 شموس مجد في سموات علا وأسد موت بين غابات أسل
 وقلت : ما المجدُ إلا ساءٌ أنت كوكبها والجود إلا غمامٌ أنت سلسله
 فكل سابقٍ قوم أنت سابقه وكل فاضلٍ حزب أنت تفضله
 بالعقد تحسبكم والأمر تيرمهُ والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيا مَنّا مصقولةً أطرافها بك واليالي كلها أسعارُ
 مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
 ابن حاتم المكي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
 الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
 أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
 الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
 طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
 خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
 أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لنارِ الهموم
 وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالسكر * وقلت :
 أيامنا في جواره بكرٌ وليلنا في فئانه سحر
 ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فصدقاً فكلّا كما بحر
 وقوله : وليس على الله بمستكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
 وقوله : قى يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ
 فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن بصيرُ الجودِ حيثُ بصير
 وقول أبي العتاهية :

أنته الخلافةُ منقادةً إليه تجرُّ أذيالها
 ولم تك تُصلحُ إلا له ولم يك يُصلحُ إلا لها
 ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلت الأرضُ زلزالها
 وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وإني واسماعيل يومَ وفاته لكان بعد يومِ الروعِ فارقةُ النصلُ
 فإن أغش قومًا بعده أو أزورهم فكالوحشِ بدنيها من الأنسِ المحل
 الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
 أنت الجواد ومنك الجودُ أوله فإن مُقدتَ فما جودٌ لموجود
 أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود
 من نور وجهك تضحى الأرض مشرقةً ومن ثنائك يجري الماءُ في العود
 وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلّى إلى المجد طَرَفُهُ دَجَجَ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله
 صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ورقت كما رَقَ النسيمُ شمائله
 والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى تزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينجلي
جملت نظام المكرمات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٣ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لوم تكن من نبعة نجمية
مطر أبوك أبو أهلة وابل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأ تلد^٤ الرجال وإنما
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^٥ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٦ شهد العدو بفضلها
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلة
وقلت : قد نلت بارأي والتميز منزلة
وبالتكرم والافضال مرتبة
قالوا أيمطر^٧ من محل ألم^٨ به
مال^٩ يسدده في جمع مكرمة
كروضة أخذت بالغيث زخر^{١٠} قها

(١) في ديوان البحترى «نكاة إذا» .
(٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها كأنها اُصْلٌ للدهرِ أو بُكرٌ
 فابشر فانك رأسٌ والعلا جسد والمجدُ وجهٌ وأنت السمعُ والبصر
 لولاك لم تك للأيام منقبَةٌ تسمو إليها ولا للدهر مفتخر
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تماؤه والغيث باكرٌ وبلهٌ وسجامه
 والسيفُ أرهفَ للمضاءِ غراره والرمح قوَمَ للقاءِ قوامه
 أنت الربيعُ الغضُّ رقَّ نسيمه واخضرَّ روضته وصاب غمامه
 خُلق كنشرِ الروضِ طل نباته أو مثل صرفِ الراحِ فُضَّ ختامه
 للأولياء رخاؤه ورخاؤه وعلى العداة سَمومه وسَمامه
 يامن أدل على الزمان زمانه وزرى على أيامه أيامه
 يدنو فيغمرُ كلَّ شيءٍ فضله كالخصب يُنعمش كل خلق عامه
 مان يزال من المآثر والعلا في موكب منشورة أعلامه
 عالٍ تَسَوَّرَ فوق قِمةِ سؤدد أوفى على قدم النجوم سَنامه
 يبدو فيبدى الصبحُ غرةَ وجهه والدليل قد قبض العيونَ ظلامه
 سبق الجيادَ فما يُشقُّ غبارُه ودلا القربينَ فما يُرامَ مرامه
 ولئن أبرَّ على الحسام عزيمةً فكما أبرَّ على القضاءِ سَماه
 وكأما أقلامُه أسيافه وكأما أسيافه أقلامه
 ما المجد إلا العقد جودك شذره ^(١) ونداك لؤلؤُه وأنت نظامه
 والجودُ في يدك اليمين عِناهُ والبأس في يدك الشمالِ خطامه
 مازال فوتك في اللواء موليا مولى الخفاقة خلفه وأمامه
 فاعمر على زمن أغر محجبل قد تمَّ فيك على الورى إنعامه
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشَّذْرُ : قطع من الذهب تُلَقَط من معدنه بلا إذابة ، أو خرزٌ يفصل
 بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلوهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأنعبت من جرى
ويسئل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا
فتى لم نزنه بالقوافي وإنما
من الغر لا حوا أشمسا ومضواظي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور حباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس^١ والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعا والأمانى
كذلك فوارض الثمرات تدنو لجانيها فممكن كل جاني
وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا جمع المادح له ضحك وسرى السرور
بمجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس الملاطراً عقيد الندى وهب
وما ضرَّ وهباً عيب من جحد الندى كالا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهشَّ إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المسامات لكل حي وقت به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :

إن استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فحاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين بطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلالاه ويملو مبهواه ويكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قلوا أنغر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والآخر من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بني شيبان قدما بفعلهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
ففض الطرف انك من نعيم فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو وضعت قفاح بني نعيم على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

ألسن خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطلون راح
قال فما أنغر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بمحضر موت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسْمَى بَعْدَ قِضَتِهَا الرِّحَابُ ^(١)
ترى برصاً بأسفل ^(٢) إسكتياً كمنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أجهن بيت قيل قال قول جرير :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجي بسلام
قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أرَ شعراً
أرق في الوزن ولا أملاً للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في
هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليامة أن ينصف
من خصم تظلم منه .

وقد قال عماره بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأثنتُ جاهدًا وإن عدتمُ أثنتُ والعودُ أحسن ^(٣)
وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشرابُ المبرَّدُ وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحد
وقال ابن حبيب دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له
ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتُ الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائض .

(٢) في النقائض (بجمع) مكان (أسفل) . (٣) لعله «أحد» .

ثياب بنى عوف طهارى نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ماظلمت قريع بأن بينوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا
قال اجلس لا جلست والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف
والايماء إلى قدام، والناس يحملون هذا البيت لجليل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تجمد الأسدُ عنا مخافةً فهل يقتلني ذو بنان يطرفُ
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلفُ
إذا انتهب الأقوامُ مجداً فاننا لنا مغرماً مجد وللناس مغرُفُ
وضعنا لهم صاع القصاص رهينةً بما سوف تنوفيه إذا الناس طففوا
ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى الشاعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وألس من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر دونه فياربُ مظنون به الخيرُ يخلفُ
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كلُّ من تهواه يهواك قلبه وما كلُّ من أنصفتك لك منصف

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العيسى عن العيسى قال من أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلم مولايَ عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادي بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللُب أني أقولُ على غيْلٍ وأعلمُ ما أعني
فأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنه على الناس قد فضلتُ خير أب وابن
وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برئت لحالها وقومت من أصلاها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيلاً وان حقُّ عراني أهتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدى الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غد أن يعطفَ الودُّ بيننا ومظلمة مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصبحُ ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ
وقلت في معناه :

وخلَّ الجهولُ وُبغضِي له فاني لبيبٌ أحبُّ الليبيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أرَ بدا عجبيا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أضبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروباً
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألني عنا فانا حلى العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلى العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكـ كل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاطل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تك أنثوابي تمزق عن بلى فاني كمثل السيف في خلق الغمد
ولأبي هفان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شبي فقلت لها لا تعجبي من يياض الصبح في السدف
وزادها عجباً أن رحت في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدر في الصدف
فرأيت في هذا المعنى تكلفاً فقلت :

غيرتني ان رحت في سَمَلٍ والدر لا تزدى به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُصيرني عربي رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدراً ثم مورداً
بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مجرداً
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل لزهير إن شمت سرائنا فلسنا بشتامين * للمشتم
ولكننا نأبي الظلام ونعتصم بكل رقيق الشفرتين مصمم
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرکم أنى بأحسنِ شِیمَةٍ بصیرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانک قد سابتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أنخدق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزديق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مُؤنِّلٍ وقد يدرك المجدُ المؤنلَ أمثالى
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيبةِ الرجلِ
قال فأياها أرق قال قوله :

وما دَرفت عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتل
قال فأياها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً وباساً لدى وكرِها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :
ويبترُ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ واذا جَزِ عنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا اُعلوا لم يَضجروا يومَ اللقاء واذا اُعلوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رأفتى واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الابعادُ
وذى ترّةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عني سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألُنِي هَوَازُنُ أَيْنَ مَالِي وَمَالِي غَيْرَ مَا نَفَقْتُ مَالُ
 فَقُلْتُ لَهَا هَوَازُنُ إِنَّ مَالِي أَضَرَّ بِهِ الْمَلَمَاتُ الثَّقَالُ
 أَضَرَّ بِهِ نَعَمٌ وَنَعَمٌ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغِيبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
 وقول أبي جندب :

فَلَوْ نَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ تَزِدْ وَلَوْ فَقَدْنَا مِثْلَهُمْ لَمْ نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فاذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسيبه الفتى ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بنى الاصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سَائِلٌ وَخَلَلٌ فِي إِيَادِ بْنِ مَعْدٍ هَلْ كَانَتْ الرُّومُ عُبِيدًا لِأَحَدٍ
 هُمُ الرِّبِيعُ وَالسَّنَامُ الْمُعْتَمِدُ وَالذَّرْوَةُ الْعَلِيَاءُ وَالرَّكْنُ الْأَشَدُّ
 وَأَنْتَ حَرَمِي لَثِيمُ الْمُسْتَنْدِ عُصَاةُ اللُّؤْمِ الَّتِي فِيهَا تَلْدُ
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتيت منى فاذا رجل على جبل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هاجهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هَلْ هَهُنَا مِنْ وَلَدِ قُرْدٍ مِنْ أَحَدٍ أَعْطَاهُمْ مِنْ رَجَزِي الْيَوْمَ وَغَدٍ

فخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهمُ جلدٌ عند
أنى وربِّ الراقصاتِ في السند
ينفرن من وقعِ العصي والقدد
أنى لذو اليوم وذو أمس، وغد
وابنُ هذيل وابنُ أشياخٍ معد
ثم لفهم ولفهم العدد
فلو نَزَادَ ألفَ ألفٍ لم نَزِدْ
ولو فقدنا مثاهم لم نفتقد
فارجع إلى معزك تيساً ذاجيد
أوفى على رأسِ بقاعٍ فصخد
قال خلعت أنى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الأكثرين حمى
والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

نُعيرُنا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرامَ قليلٌ
وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلنا شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضَرَّنا أنا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلٌ
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جَوْهرٌ لو خالطَ الأرضُ أصبحت
وبطنانها منه وظهرانها تَبَرٌ
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
وأمردنا كهلٌ وأشيينا حَبَرٌ
إذا زينةُ الدنيا من المالِ أَعْرَضَتْ
فأزبن منها عندنا الحمدُ والشكر
ليفتخر بجود من أرادَ فانه
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بِكرٌ
جرى حاتمٌ في حلبةٍ منه لو جرى
بها القطرُ يوماً قِيلَ أيُّهما القطرُ
فتى ذخر الدنيا أناسٌ ولم يزل
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
ومنها : كَأَنَّ أَظْلَ الكِأَةِ لَدَى الوغَى
وأرماحهم مُحرٌّ وألوانهم صفرٌ
بخيلٍ لزيد الخيل فيها فوارسٌ
إذا نطقوا في مسهبٍ خرسٌ الدهرُ
طوى بطنها الآساد حتى لو انه
بدالك ماشكت في أنه ظهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها
فإن دَمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
منساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
بهاليل لو طابتَ فيضَ أكفهم
وأى يد في الجدي مُدَّتْ فلم تكن
أصارت لهم أرضَ العدو قطائما
إذا ما أغاروا فاحتوا مالَ معشر
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
يمدون بالبيض القواطع أيديا
بما خلفها مادامَ قدامها وتر
فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر
فما بهتدى إلا لأصغرها الشعر
لكثرة ما أوصوا بهنَّ شرائعُ
لأيقنت أن الرزقَ في الأرضِ واسعُ
لها راحةٌ من جودهم وأصابع
نفوسٌ لحدِّ المرهفاتِ قطائع
أغارَت عليهم فاحتوته الصنائع
أكف لارث المكرمات موانع
وهنَّ سواء والسيوف القواطع

وقلما نجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليليَّ باعُ الدهر بالعرف ضيقُ
وواقع نعماء عن الحرِّ طائرُ
متى ما يبصني بالقوارع طرفه
وهما تُمثلي للخطوب جوابُ
تربك اشتعالاً بالنجوم طوالاً
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تحاقتى الأيام فهي تخيقتى
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلعُ منها في ديارى طوالعُ
يقارعُ منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى باتمَّ الفضل ليس بقانعُ
فما صحبتبه للأنام صنيعه
على كل ذى عقل وبالنكر واسعُ
وطائر بلواه على الحر واقعُ
أصابته همتى وهنَّ قوارع
كما أنهنَّ للخطوب دوافع
وهنَّ إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات يبيض قواطعُ
وللنكس تهديدٌ إذا رجع رائعُ
فكيف ترى أنى إذا صلب خاشع
بسوء وهمتى عليها طلائع
يقومُ ازاء النصر حين يُقارع
ولكن بأذى بُلغة العيش قانع
ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخ^ه
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره^ه
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^ه
ومثلي مخضوع له غير أنه^ه
ومثلي متبوع على كل حالة^ه
وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكلب خير من ولدت
وعيرتنا وما انت طل^ه را؟
غلاة مودة والاشراك^ه مكتهل^ه
ان تعبسى لدم منا هريق بها
أقمعد وقم طاماً انت لو نطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطي؟
كم عرضوا أيدياً بيضاً مكرمة^ه
أسديرون الردى المغضى بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وحطت مساعينا على حطط الفخر
وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابي كهل^ه و كل فضل لي عليه فضل^ه
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلابي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير ^(١) الخبلى ^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجي عوده ولا يحال لغيته مخيلة ولا يحال عن تنكره محيلة أمين صخر تدمر قلبه فليس يلبينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق ^(٣) من صفاقة الدهر حجر ^(٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي بعد الوهم فيها وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود وللآلوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا والغر وأين الحياء الذي يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجذبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته الهجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما غناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الخبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشئ . (٣) اعلمها مقحمة (٤) في نسخته « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع إلسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكل
العيون بصور الفيضان وأنبت العشب على البحار وأبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومناينة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريماً لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأى فيعلم أنه مالم يعاود الصلة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عني هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء علي هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وغرضه ومتمرز بسمائه وأرضه ولا يشعر أني كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوام دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحي على سيدي مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله وغدى عليه
هذه المعائب لاستماتته من جانب الى جانب لا في يمن يرغب في راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤئل حالاً عند من ينحت أثله^(١) ومقبل بوده على من
لا يجعله قبلته فاني لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمي لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتي لما رفعت اليها طرفاً ولو سكتي أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحد ويجنب جنبه اكليل الحمد ويظل وجه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الإخاء بفته في عضده منهداً ولا يعجبني أن يكسوه مكارمه
كلف الخول ويأذن لطواله معاليه بالا قول فان فضل سيدي الخلود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملأل ولم يصل نار الوصال حللت عنه معقود خصرى وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيا سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت حبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي^٢ متحول
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٣ حسامه^٤ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٥
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتكم بالله ما تعلماني ولا تكتم شيئاً فعندكم خبري
أأرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
وأسأل نيلاً لا يجاد بمثله ويفتحه بشري ويختمه عذري
وبارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقعت الى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجداً تقومي وأحسابا

وأشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا
لايملاً الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به ذرعى إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء تبطرنى ولا تخشمت من لأوائها جزعا
وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت

قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأتي على يسير^٣

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي الشناش :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أوع بالشعر

ونبغ فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتي العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَتَصَعَّبُ الْأُمُورَ لَا تَرَى مِنْهُ مُبْدَا
بَادِرٍ وَخَلَّ الْهَوَيْنَا وَجَدًا كَيْمَا تَجِدَا
فَلَنْ تَلَاقَى جَدًّا حَتَّى تَلَاقَى كَدَا

ومن يبلغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وَلَيْسَ لِسِيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَا لِسِيْفِي أَسْوَى وَقْعِهِ مِنْ لِسَانِيَا
وَهِيَ مِنْ قَوْلِ حَسَّانَ * وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السِّيْفُ مَذُودِي *
وَقُلْتُ : وَلِي لِسَانٌ إِذَا أَطْلَقْتُهُ عُرْضًا سَعَى مَسَاعِيَّ ضَرْغَامٍ وَثَعْبَانِ
وَقَدْ نَمْتَنَى أَنْجَادُهُ جَحَاجِحُهُ مِنْ نَجْلِ سَاسَانَ تَزْهَوُ نَجْلُ سَاسَانَ
هَمْ الْكَوَاكِبُ فِي أَطْرَافِ دَاجِيَةٍ أَوْ الْعَنَانُ عَلَى أَنْبَاجِ أَعْنَانِ
قَوْمٌ إِذَا مَا أَتَوْا بِالسُّوءِ مَا اعْتَدَرُوا وَلَا يَمْنُونُ إِنْ مَنُوا بِأَحْسَانِ
وَقُلْتُ : مَنْ يَكُنْ صَائِلًا بِمِثْلِ لِسَانِي لَمْ يَضُرَّهُ أَنْ لَمْ يَصُلِّ بِسَنَانِ

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالسلام لقد خص أولئك بالأنعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغدا لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علأ فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب الباب بلدًا تحل به السحاب في كل مقدي وما ب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشخبي :

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنِّي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلُ
وَإِنِّي لَا أَخْزِي إِذَا قِيلَ مُسْلِقٌ جَوَادٌ وَأَخْزِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِظْمِي طَوِيلًا فَانْتِ لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَإِنْ أَكُ قَصْدًا فِي الرِّجَالِ فَانْتِ إِذَا حُلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لَجْلِيلُ

إذا كنتُ في قومٍ طوالٍ فضلتهم
بعارفةٍ حتى يُقالَ طويل
ولا خيرةٍ في طولِ الجسومِ وعرضها
إذا لم تَزِنْ طولَ الجسومِ عقول
ولم أَرِ كالمعروفِ أمّا مذاقهُ
فلوَّ وأما وجههُ فجميل
وقلت : غنّاي غنى نفسي ومالي قناعتي
وكنزى آدابی وزى عفاييا
ونغرى إسلامى وذخرى أمانتى
وجندى أشعارى وسيفى لسانيا
ولى عزماتٌ كالسيوفِ قواضيا
إذا عنَّ خطبٌ والحتوفِ قواضيا
وتفشى صدورَ النائباتِ صدورُها
كما غشيتُ سمرُ العوالى الزراقيا
ألا لا يذمُّ الدهرَ من كان عاجزاً
ولا يعذلُ الاقدارَ من كان دانيا
فن لم تبلغهُ المعالى نفسه
فغير جديرٍ أن ينالَ المعاليا
ولا أعرفُ فى افتخارِ الجاهليةِ أجود
ولا أبلغُ من قولِ عمرو بنِ كلثوم^(١) :
ونحنُ الحاكمونَ إذا أطعنا
ونحنُ العانفونَ إذا عصينا
ونحنُ التاركونَ لما سخطنا
ونحنُ الآخذونَ لما رضينا

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في قوله :

إمّا ترينى أمامَ القومِ متبعاً
فقد أرى من وراء^(٢) الخليل أتبع
يوماً أنيخُ فلا أدعى على نسب
واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
لا تسألى القومَ عن حىّ صحبتهم
ماذا صنعتُ وماذا أهله صنعوا
وقال : أميلُ مع الذمامِ على ابنِ عمى
وأقضى للصديقِ على الشقيقِ
أفرقُ بينَ معروفى ودينى
وأجمعُ بينَ مالى والحقوقِ
فاما تلقى مُحرراً مطاعاً
فانك واجدى عبدَ الصديقِ

وهذا من قول الأول :

(١) فى الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام .
بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاويًا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيقة أحكموا سُفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبا

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أنا ملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف للعجلي :

وكن على الدهر فارساً بطلا فأنما الدهرُ فارسٌ بطلُ
لا بُدَّ للخيل أن تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التي نصلُ
فرّةً باللجين ننقلها ومرتةً بالدماء تنقلُ
حتى ترى الموت تحتَ رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
الناطقة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينذر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع الناطقة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكرك سيف بن ذى يزن واتبانه بالفرس
ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً في رأس غمدان دار منك محلا لا
تلك المكارمُ لا قعبانَ من لبن شيبت بماء فعادت بعدُ أبوالا^(٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً في شاذ مهردع غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصدهُ من هوزة بن عليّ وابن ذى يزن
ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلات مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تقى وتغنيها
ولا تنقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة اليك بالفتح معقود نواصيها
أمت هرقلة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
ابن الخليفة سيف لا يجرده إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
ما قارع الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعيا
وقلت : ما لليالى والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربى يقيقك ماتهوى على فرح كما يقيقك ماتهوى ويعليك
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليه وينميك
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضى قضايك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينتسب » . (٢) فى الاصل « شيباء بماء فعادت بعد أبوالا » .

(٣) فى النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قبل في التهئة بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعلّ بن محمد الحواري :

عليّ يا ذا الجودِ والمعالى يامعدنّ الانعام والافضال
يامن به نيطت عُرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جودٌ بلا منٍّ ولا اعتلالٍ مبتدأ يُغنى عن السؤال
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرف الاحوال
فليلهُ أزهرٌ ذو اشتعالٍ كأنه وجهك في الجمال
وصبحهُ بلال ذو انهمال يحكي ندَى كفك ذا الأسيال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفى على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهةُ الأجوادُ بالبخالِ وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمةٍ ضافيةٍ الاذيالِ بمرٍّ ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتائبهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوهم لهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتبأغه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتاً اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا رالت من الله نعمةٌ تجدّها الأيام عندك والدهرُ
ولا زالت الأعياد تمضى وتنقضى وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
فانك . للدينا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ ذخِرُ هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس شيء عند مقداره قدر
فلا فضلَ إلا وهو من فضل جوده ولا يرُ إلا دونهُ ذلك البرُ
فأهديتُ من حلى المديح جواهرًا منصلةً يزهي بها النظمُ والنثرُ
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر وتبهى بها الأيام ما اتصل العمرُ
شكرتُ لاسماعيلُ حسنَ بلائه وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك الى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر الى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لاتقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى ففى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقضى نفسه
بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديميتين غير مستجدتين
واني ان جعلتهما هديتي لم أجد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتس بها ما أعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي بما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخر
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرى فهو ممرتهن بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير آقي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالاطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشاء كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سينته^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهملة من النفط .

في وسعنا مايفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجل البر وهى الثناء الجميل والدعاء الحسن قلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب لله متصم : النفس لأمر المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذى فى آخره المعلى بن عبيدة الريحاني لم يزد سعيد بن حميد فيه شيأ .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول على بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطولاه وملاؤه من العز أمدّه وأكملاه وألبسه من الانعام أسبغاه وأجزله ومهد له من العيش أرغداه وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد فصول فى التهانى قليلة النظير منها ما كتب يهنيء بالوزارة : انا أهنيء أطال الله بقاء سيدى الوزارة بألقائها الى فضله مقادتها وبلوغها فى ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحه المجد والفخر وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر اليها حتى قررت لديه قرارها وأنقبت يديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادى النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو فهى وليدة ذراه قد آلت لاتخط خطته وعاهدت لابرحت ساحتها فالحمد لله الذى أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون فى ذبول الخيبة ويتسقطون فى فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بمحققين قديم وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويلوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انفاذه وتقديره والازمان محسودة بانحيازها الى امضائه وتدييره فلما كئسى الدهر حلة أبهى من حصول عنائه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تنهناً الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عید الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتر الى معتر بما لديه فغيثه متشبه بكفه واعتداله مضاه لخلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التى لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنباه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغنى .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشرأ حلله التى استعارها من شيمته ومبدياً حليه التى أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهممة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدى الموهبة اتى ساقها اليه ومدرواها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدى محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميا من أعز شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقدولدها بنان توأمان: وصل كتاب
 الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
 تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
 وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجم أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما
 سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف
 المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى
 شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته
 حمداً مكافئاً جسم ماأناح وعظيم ماأنفاد واكتنفتي من السرور مافسح مناهج
 القبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزعجت
 قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتهام ماأدناه من الاميرين السيدين من
 سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق
 البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود
 وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد
 الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
 وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
 آنسها الله وحرسها بذكر مآلقاه كرم مولانا ورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل
 القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاءها فحمدت الله
 وللى الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل
 بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادربه من
 شرف لا حل مقبمه ولا يتحيف عميه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
 سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

وجدت في التماسك به بضيرة ولا من ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلا إلى خبر البشرى فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتز يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته	ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتز بشري بينت	فيها فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا	عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملوكك مخبر	بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النماء فيك ممتعا ^(١)	بعلو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه	وترى الكهول الشيب من أولاده

وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم	محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه	للغز قرب والسماك نديم
فلا أمره التتميم ^(٢) كيف تصرف	حالانه ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه	حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بمائه	حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً	وهو سد الليل وهو بهم
وهو الوجه إذا تبدى وجهه	وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتنه	خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد	ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عينا فاب خلاله	تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهملة

ولحده التصميم حين تلاحت أقرانه ولشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولى قال قيل للرشد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشد
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لاُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : ياأمير المؤمنين سر ك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشد : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ في نجيب	عما يعيبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملك أبصارَ ناظره
يملاها ^(١) بهجة اذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سويًا	تكثر علات عائبه
جنى لذيد المذاق حلوً	يقربُ من كف مجتنيه
وعن قليل يصيرُ شهما	يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش في ضمان خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت في تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه فانك قد فصلت بالتبر جوهرها
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطراً
هو الينُ لم يدمك محبوبةً دنت ومكروهة شطت وصعباً تيسرا
ومر عجائب المعاني تهئة لأبى اسحق الصابى مشوبة بالمقد ^(٢) لرجل زوج أمه:
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور منه فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) فى الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) فى الأصل « بالعقربة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاؤها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيزك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوالهم في تصاريف نشوهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتفاء والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسناً من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السمي والهمة وغاية في الطلب والبقية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاه قبل بلوغ أدواته منتهاه يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعيا ويستغنى عن يصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من ادانتك وألتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونقياً
عك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة منسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منكما من رقد يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكال
 أنك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتمزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثلمك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لمعمرى وقتت حين وصلت بحبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله ثلاثاً تقدم الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعاً بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتنبخت فى حليها واكتنفها بميامن يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة السكاملة فى

ثُمَّ رَيْبٌ رَكَّابٌ مَوْلَانَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَكَبَّتْ أَعْدَاءُهُ وَكَبَّ حَسَادُهُ وَزَادَهُمْ رَغْمًا
بِزِيَادَتِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ نَعْمًا لَا يَرْحَلُ مَقِيمُهَا وَلَا يَتَحَيَّفُ عَمِيمُهَا مَا اخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ وَتَعَاقَبَ
النِّيرَانِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ فِي وَفْدَتِهِ مَا يَنْقَادُ لَهُ أَقْصَرُ الْأَسَارِ وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ غَايَاتِ
الْإِخْتِيَارِ بِمَنْهُ وَجُودِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَمْلُغُ نِدَاءُهُ وَلَا يَنْفَصِلُ أَخْرَاجُهُ مِنْ أَوْلَادِهِ حَتَّى يَسْتَغْرِقَ نِعْمَهُ
وَيَسْتَوْفِيَ فَوَاضِلَهُ وَقَسَمَهُ وَأَنَّى ذَلِكَ وَهِيَ مَتَطَرِفَةٌ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ وَمَمْدُودَةٌ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ
لَا يَتَخَطَّى إِلَى شُكْرِ بَعْضِهَا إِلَّا بِتَجَدُّدِ أَمْثَالِهِ مِنْ جَمَلَتِهَا وَتَرَادُفِ نِظَائِرِهِ مِنْ جَمَاعَتِهَا
وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى كَثِيرًا وَقَبْلَ مِنَ الشُّكْرِ قَلِيلًا وَأَوْجِبَ بِهِ مَزِيدًا وَالصَّلَاةَ
عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

﴿كِتَابُ الْمُبَالِغَةِ﴾

فِي أَوْصَافِ خِصَالِ الْإِنْسَانِ الْمَحْمُودَةِ مِنَ الْجُودِ وَالشُّجَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ
وَالْحَزْمِ وَالْعَقْلِ وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ وَهُوَ :

﴿الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني﴾

سَمِعْتُ الشَّيْخَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُونَ أَجُودُ بَيْتِ قَائِنَةَ الْعَرَبِ قَوْلَ مُسْلِمٍ
ابْنِ الْوَلِيدِ ^(١) :

(١) هُوَ الْمَلَقَبُ بِبَصْرِ بَعِ الْغَوَانِي، تَأَدَّبَ فِي الْكُوفَةِ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فِي الشَّعْرِ، مَاتَ بِبَجْرَجَانَ .

يجودُ بالنفس إن ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: ^(١)

تجودُ بنفسٍ لا يجادُ بمثلها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم ^(٢) :

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كانَ من حسي ونسي
فلما لم أجدُ شيئاً نفسيّاً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيد وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما ألطفه من ماله وقد
بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذلته وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتيق الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة إهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدَه الركبُ
فقلتُ له هل جئنا بهديةً فقال بنفسى قلتُ أنحف ^(٣)
هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأت ولا أتمنى ما حيتُ لها قرباً
إذا هي وافت من ثمانينَ قامةً فلا السهلَ أفاها إلا آله ولا الرحبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ يفتداه وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه الى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ
ولعله سقط «بها التزبا» أو نحوها ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للمطية . وأجود ما قيل عندى قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المولى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن السامحة لم تزل معقولةً حتى حلت براحتيك عقالها
وإذا الملوك تسأرت في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزة السيف المحلى فلما ان ضربت بك انثيت
فهبها مدحة ذهب ضياءاً كذبت عليك فيها وافترت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فمر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرُفدُ
ألا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردَّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الاسود

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعالِ وقد أَرعدوا
 ثم مضى قليل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أبيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوه من الخير أخرب
 أبا دلف ياكذب الناس كلهم سواي فإني في مديحك أكذب
 وأخذ البحرى قوله * كانوا كوا كبها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذاغبت عن أرض ويمت غيرها فقد غاب عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تمحل الدنيا وأنت ثمالها^(١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحية الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وحفيف نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتلم عليك ضعيفة وخسيف قومك لائم لا يحمد
 والضيف عندك مثل أسود سالخ لا بل أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الأمساك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال
 عاج الشقى مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحبال
 لا نادمن^(٢) الراج وهي زلال ولأطرقن البيت فيه غزال
 ولا تترك حليلها وبقلبه حرق وحشو فؤاده بكبال

(١) في الأصل « ثمارها » . (٢) في الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حي فمٌ وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعهُ
 ولم يكن لك مالٌ يوم تكسبه
 تحبُّ من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصالُ امرئ
 فليس على الجودِ والمكرمات
 هو المالُ ان أنت لم تخترب
 أباح لك الدهرُ ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابنَ ورد فأنى تعودُ على مالى الحقوقُ العوائدُ
 ومن يؤثر الحقَّ التَّؤوبَ يكن به خصاصةٌ جسم وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحداً من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولايشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبى دهرنا اسماقنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحبُّ ونكرمُ
فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ان المهم المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدوح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحري :

سحابٌ عداني جوده وهو هامر وبحرٌ خطاني فيضه وهو مغمم
وبرقٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمُ

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لهُ همٌّ لا مُنتهى لكبارها وهمةُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
لهُ راحةٌ لو أن معشارَ جودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحرِ
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده هم ملء فؤاد الزمان إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همة الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في
الطاق الكبير فاب همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذْ مَرَهًماً وافكك بأهل الشرق والغربِ
 ولا تمت ان حَضرت ميتةٌ حتى تَميتَ السيفَ بالضربِ
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عَرَقاً في خيلهِ أعلم منه بحِداءِ ابله ^(١)
 قد اعبت أيدى النوى بشملهِ متمعاً مضطجعاً بحملهِ
 مُنصلاً كالسيفِ عند سلهِ مولودةٌ همتُهُ من قبله
 قد دانَ ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستحلهِ
 إلا بأن يسكن تحت ظلهِ

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّهُ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقية ^(٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبعٍ لا أوريت ناراً
 الحصاة مع النبع لا توري قال فأت من يمن نقيتك لو قدحت بهما لا أوريت .
 وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دماءٌ بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً الى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعسين وراء شأوه الى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد بالهوى فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا همَّ بأمرٍ ناله فسواء جدَّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية : النفس ، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت وكم بادىء المزن غير معقب
ولما يفرره تقلب دهره فقلت لعل الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوب حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادى لم تُمن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يُخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
فدبت عينه صرف الهممة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غير ها هو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكو لم أبت لشكواك إلا ساهرًا أنململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقت به دونى فمعنى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمي ^(١) :
أشدُّ على الكتبية لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتره ^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكُ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمـ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

(١) هو الشاعر الفارس كان سيدا في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليما على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو قريصته كشدق الأعم
هلاً سألت الخليل بابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
يخبرك من شهد الواقعة أنني أخشى الوغى وأعف عند المغم
ومدحج كره الكفاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
سبقت يدائي له بعاجل طعنة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر محبة لنفس المنعم
ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكني تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان غنرة هجيناً أمه أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ سلاحاً وصنع مهرراً فأغارت طيء على عيس فسيبوا أهلها وجيرانه فركب مهره واتبع القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يظعن في أعين القوم حتى ردوا عليه أباه وأمهم ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان غنرة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية تسمى زيبية وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا غنرة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمع رجلى بها حنر الموت وإني لغرور
ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير
كل ماء لك مبي خلق وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإني لغرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لغرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك منى خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات لخال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك منى خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنوب لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصعقب فحمت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما زهب هؤلاء المعدي . مسترعفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :
وادم حبت^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

وكننت إذا ما هممتُ اعترمت وأخرى إذا قلتُ أن أفعلها

وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتقضت رسائله
له نسبُ الانسى يعرفُ نخله وللجنِّ منه خَلقه وشماله

وقال عبيد بن أيوب :

فله درُ الغولِ أى رقيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبنى وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التى أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطانى ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا فى الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبى حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنمة فقال له رجل
من أولاد أبى موسى الاشعرى فى أى كتاب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيتها قلته :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
ثم دخل معن بن أوس المزنى فأنشد * لعمرك ما أدري وانى لأوجل *
حتى صار إلى البيتین فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعانى وهو

(١) فى الأصل « الحجاج بن حنمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظئري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينه :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عقي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيح

واعطائي على المكروه مالي وضربني هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على السكتيبة لأبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت مُنغمس إذا تأني على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء بأسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تسكن مني مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بمثر بصطاد الرجال إذا مالميث كذب عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما رتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن محام^(١) :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد . لنفسى حياةً مثل أن أتقدم
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا . ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموت به شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه . بجر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى مانابني فأجابني . كريمٌ من الفتيان غير مزج^(٢)
 فتى يملأ الشيزي^(٣) ويروى سنانهُ . وبضرب في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
 نصل السيوف إذا قصرن بخطونا . قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :

خطو ترى الصارم الهندي منتصراً . به من المارن الخطي منتصفاً

- (١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه أدرك الاسلام .
 (٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزى بالكسر
 خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يبادُ بمثلها أقلى شكوكا إننى غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فاتجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للنبايا عارضاً لبسوا من اليقين دُرّوعاً ما لها زردُ
ناءٍ عن المصرح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أو مسترخىَ الطولِ
حاطَ الخلافةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمُهُ من كان ذا ميل
سيدَ الثغورِ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيف لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهج كأنه أجلُّ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجالُ به كاللوتِ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوف نفوساً^(١) النبا كثرين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذيل
يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل
قد عودَ الطيرَ عادات وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحل
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرُهم لا تقومُ الراسياتُ له حلماً وطفلهُم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أود إذا سلمت ولا في الدين من خلل

(١) في هامش نسخة « دباء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانغر فمالك في شيبان من مثل كذاك مالبنى شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
 وقوله : سلّ الخليفة سيفاً من بنى مطر يمضى فيخترق الأحشاء والهاما
 كالدهر لا ينثى عمايهم به قد أوسع الناس إنعاماً وارغاما
 نظلم المال والاعداء من يده لازال للمال والاعداء ظلاما
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك تكسى العيون به نوراً وظلاما
 تمضى المنايا لما تمضى أسننته كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
 وله أيضا :

يلقى النية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجمود
 كاليث بل مثله الليث الهصور إذا غنى الحديد غناء غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بلّ في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخصك الحشر
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاط المرء والخلق الوعر
 غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغى اللحد ولا أبغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عدا (١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها على أرواس الاقراں خمس سحائب
 وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قائله العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي العيناء
قال قال الاصمعى أصدق بيت قائله العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال المحدث فى معناه * ماضع عرف وان أوليته حبراً * وقال الافوه^(١) :
والخير تزداد منه ما كفيت^(٢) به والشر يكفيك منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الابرصى :
الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الانامل
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان فى جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه
يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم
ولبيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت ثم أنشد
لبيد رأس البيت * وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قریش فطعم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الاودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكامها

وسادتها وفرسانها . (٢) وفى رواية «لقيت» .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :
ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله وبغنى إذا ما أخطأتهُ الجبائلُ
إذا المرءُ أسرَى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجتنا وحاجةُ من عاش لا تنقضي
وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سمه أنشدنا أصدق بيت قالته
العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعي : وأنا أقول :
كأن مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقى من الناس مذنبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الاكرومتين فأما يسودُ الفتى من حيثُ يسغو ويشجع
زرعتُ رجاءً في ذراك مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرع
أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابُ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لاخرى لينَّ لك بأبها
وان قرابَ البطنِ يغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابها
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ماشئت يغنيك عن العذبةِ والحلوةِ
وطأمن شئت يغنيك عن الخناء في الذروةِ
فكم أنساك ما نهوا نيلُ الشيءِ لم نهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزاني غزوتُهُ . كئائب ناس كَرَّها واطرادها
أمصّ ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى أن ترضى النفوس ثادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ رغبةٌ إذا رغبتها وإذا تردُّ الى قليلٍ تقنع
وقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذى مالديك
وذمَّ بعضهم القناعة فقال هى خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلَّان غير الحى والوتدُ
هذا على الخسف مربوطٌ برمته وإذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ
وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد فى قوله :

إذا اللثيمُ مطّاً حاجبيه وذادَ عن حريمٍ درهميه
فترك عنانَ البخل فى يديه وقم الى السيف ^(١) وشفرتيه
واستنزل الرزقَ بمضرييه إن قعدَ الدهرُ فقم اليه
وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردّنى إلى جانب منها يلينُ ويسهلُ ^(٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل
وقال ديك الجن :

لا تقم للزمانِ فى منزلِ الضيمِ ولا ترتبطك رقةٌ حالٍ
وإذا خفتَ أن يراهقك العدُّمُ فعدْ بالثقات العوالى
وأهن نفسك الكريمةَ للموت وقحم بها على الأهوال

(١) فى الأصل « وقم بالسيف » . (٢) فى الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتهنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 فقليل من الورى من تراه يُرتجى أن يصون عرضا بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدمي فاسترائت رحيلي سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعلّ المنية قبل القبول
 لعمري التي وعدتك الثراء بجودى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجملت لك غير الجميل
 ساقى العفاف وأغنى الكفال فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعدّد لذمّ البخيل
 وأعلم أن بنات الرجا تحلّ العزیز محلّ الدليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت نبي الشعر. وقال البصير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفلح ولم أكد
 لا تجمعوا ابن تهبونى وأكرمكم ولا تمدّوا إلى نيل اللئام بدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لفسد
 فربّ ملتصق مالىس يدركه ومدرك مآمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه قهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) فى الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسى نشأ فى البصرة.

فقالوا الرقيبيهم ماترى قال خيلاً كأنعقبان عليها فوارس كأنصبيان فقال فزاره ولا بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خاطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أتى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية أن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد
وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بمواقفة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروى لغيره :

وذى ودّ أملت إليه نصحاً وكان لما أشير به سميماً
أطاف بغيه ونهيت عنها وقلت تجنب الامر الفظيماً
أردت رشادته جهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلت آرائى وسقت نصيحتى إلى غير طلق للنصيح ولاهش
فلما أبى نصحى سلكت سبيله وأوسعته من زور قول ومن غش
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابني رجاجة أنى أغش إذا ما النصح لم يقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أوطاة :
عرضت نصيحة منى ليحي فقال غششتنى والنصح مر
ومابى أن أكون أعيب يحيى ويحي طاهر الأخلاق بر
ولكن قد أنانى أن يحيى يقال عليه في نقاء شر

فقلتُ له تجنبْ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ عَلَيْكَ إِنْ الْحَرَّ حَرٌّ

ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إِنْ أَخَا الصَّدَقِ الَّذِي إِنْ يَخْدَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا صَرَفَ زَمَانَ صَدَعَكَ شَدَّتْ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

وَأَنْ غَدَوْتَ ظَالِمًا غَدَا مَعَكَ

فسرّوه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما

أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »

وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرٍ حزم فقلت هشيمَةً من أهل نجد

نهيتك عن رجال من قريش على محبوكَةِ الأَصْلَابِ جرد

ووجدًا ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئًا غير وجدى

وقال العباس بن جرير :

إِرْعَ الْإِخَاءَ أَبَا مُحَمَّدٍ الَّذِي يَصْفُو وَصْنَهُ

وَإِذَا رَأَيْتَ مَنَافِسًا فِي نَيْلِ مَكْرَمَةٍ فَكُنْهُ

إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الَّذِي يَرْعَاكَ حِينَ تَغِيبُ عَنْهُ

وَإِذَا كَشَفْتَ غِطَاءَهُ أَحَدَتَ مَا كَشَفْتَ عَنْهُ

مِثْلَ الْحَسَامِ إِذَا اتَّضَا هُوَ أَخُو الْخَفِيفَةِ لَمْ يَخْفِهِ

يَسْعَى لِمَا تَسْعَى لَهُ كَرَمًا وَإِنْ لَمْ تَسْتَعْنِهِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ارِضَاءِ الرَّجُلِ عَنْ أَخِيهِ قَوْلَ الرَّاجِزِ :

لَمْ أَقْضِ مِنْ مُصْحَبَةِ زَيْدٍ أَرْبَى فَنِيَّ إِذَا نَهَيْتُهُ لَمْ يَغْضَبِ

أَبْيَضَ بِسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ وَلَا يَضُنْ بِالْمَتَاعِ الْحَقْبِ

مَوْكِلَ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْصَى رَفِيقِينَ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى مالم يبذل لمأجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلى مالم يحمل ففرّ في عيني حين ذلّ لي
إن جمال الحرّ في التجميل وقد يكون العزّ في التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ماجاء في هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يلومك إن ولى ويرضيك مُقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضاء
أبلغ ما قيل في النائي وأجوده وأشدّه اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد المرار الفقعسى :

تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنّ هذا الدينَ مَتِينٌ فَاوْغِلْ فِيهِ
يَرْفِقِ فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطّ بها كوار خوص لواغب يقلُّ ! كثار الذميل ذميلها
نفص عبّرة حلّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيمٍ على الدار يسقى ظلمن طولها
ومن المشهور فى التّائى قول القطامى :

قد يدركُ المتأنى بمض حاجتهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزلُّ

وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدِهِ ولم يدّر ما يلقاه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » فى
الشعر قلق المكان كوقوعه فى بيت ابن طباطبا :

فبالأنى دغى أغالى بقيمتى فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونهُ

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلت عُتْبَةً أنى منها على أجل مطل

وشكوتُ ما ألقى اليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الاثذل

قالت فأى الناسِ تعرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

وأول الأبيات :

رأيتنا أمُّ عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بُخترىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطالِ أكيس قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالةٍ وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر تقيه) معناه اختبر من شئت تجد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) في الاصل «يختلف» .

دعني الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلقتم ما توسمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمعة خلتها روضة فألفتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذروني كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرتكم بغير فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدنّ امرأً
 حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 * الشكر كفؤ النعمة . ولا أطرف من قول البحتري : الشكر نسيم النعمة .
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ماعنه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل لإغاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد آتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظام النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتُ بِي فَقَصَرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
 قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعَ قَوْلِهِ مَغْلُوبًا حَسَنَ الْمَوْقِعِ ، وَهُوَ مُأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
 فَرَأَى حَبِيبٌ لَمْ يَبَيِّنْ وَهُوَ بَاطِنٌ
 لِأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بِدَاهِيَةٍ وَأَنْتَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
 فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالَّتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرٌ
 وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مُنْبِتِ شَعْرَةٍ لَسَانًا يَبِثُّ الشُّكْرَ فِيكَ لَقَصَرَا
 وَقَوْلُ دَعْبِل :

هَجَرْتُكَ لَاعَنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ وَلَا لِقَلِي أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ
 وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِبًا فَأَفْرَطْتَ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
 فَلَانَ ^(١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوْ الشَّهْرَ
 فَإِنْ زِدْتَ فِي بَرِّي تَزِيدْتُ جَفْوَةً فَلَا نَلْتَقِي ^(٢) حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشَرَ
 وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفًا
 أَنْتَ أَمْرُؤُ قَلْدَتْنِي نَعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي وَقَدْ ضَعُفَا
 لَا تَسْدِينِ إِلَى عَارِفَةٍ حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدْوَاءِ
 الْكَلَامِ فَضْلُ أَلْفَاظِهِ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ اسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنْ الْعِلَالِ وَالْعِلَالِ مِنْهُمْ فِي تَعَبٍ
 أَدَابْتُ شُكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ أَقْصَرَ فَمَالِي فِي جَدْوَالِكَ مِنْ أَرْبٍ
 لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مُسَدِّدِي إِلَى أَبِي
 لَمَّا سَأَلْتُكَ وَافَانِي نَدَاكَ عَلَى أَضْعَافِ شُكْرِي فَلَمْ أَظْفِرْ وَلَمْ أُخِبْ

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) في الأصل « نكتفي » -

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءِ باعُ شكري قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ بدای منه إلى ما لا يطاولُه لسانی
كان ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُّني إلا شجاني
لهجتُ بذكره لأبينَ عنه فضاقتُ بوصفه ذرعَ البيان
حناني ثقله ولو أنَّ قوساً تلقى منكبي لما حناني
فها أنا منه مفتقرٌ وغاب وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةٌ لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتني بندى يديك فسودت ماينتنا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتني بالجوْدِ حتى أني متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت في الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شعيرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلصاً أبدا كما تمت لك النعماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدي وتظل تحسدني بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك في فما أهتدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تظمنني من حسن رأيك
فأضوى ولا نسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى
مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ ومكافاة ما أنالَ واسدى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى له أياديه عبدا

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار: ما أدري الغمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عني فجعل ما بمنه
نعمة والناس يجملونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافقة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا
 أعرف لها متعللا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجبر نقيصته بالاعتراف
 والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء
 وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعبشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا
 والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن
 بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب
 الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جده ووحشة صرفها وكربة
 كشفا ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيلته
 وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطوته
 وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطمع في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف
 بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك
 اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيوافقت الأنوار ولا آلى الانداء .
 وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر
 بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال
 أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له
 كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني
 فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجْباً مكسور
 الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال
 وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي
 شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل
 يساره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت
 أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حقلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان
 من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعدوا فأتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحده قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيح بما أوليت من حسن وكل ماتدعيه غير مردود
كل هجاء وقتلي لا يحل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجري في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرة فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلمته فأهديت غصناً من حناي لغارسي
أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الأصمباني :

لا تُنكرن أهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه
وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكارم ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلاً
فرايت أكثر مبدلات من الهوى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلاً
وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك إلى الرجا ل فكان عرفهم كنسرك
ورجعت من كتب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
ولما أروم بما تم ل زيادة في رفع ذكرك
لك حق أوفيه عوانك بعد برك

كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ مَلَأَ فَكْرِي لَا تَلَاظِمُهَا بِفَكْرِكَ
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَاهِيَا وَذَلِكَ رِزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أَمِيمُ جَمِيلُ
وَبَعْدَهُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلَا صَفَاءِ مَالِكَ وَعَقِيلُ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :
وَتَجَلَدِي لِلشَّامَتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرَ لَا أَنْضَمُضُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءٌ بِصَفَا الْمَشْعَرِ كُلِّ يَوْمٍ تَقَرُّعُ
وَقَوْلُهُ : وَإِنِّي صَبَرْتُ النِّفْسَ بَعْدَ ابْنِ عَنَسٍ وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشَّوْءِ الْجُوجُ
لَأَحْسَبَ جَلْدًا أَوْ لِيُنْبَأَ شَامَتٌ وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارَعَاتِ فُرُوجُ
وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب
رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَفِيهِ مَذَاهِبُ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هَنَّاكَ يَحْقُ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ
فَشَدَّ أَمْرُ الصَّبْرِ كَفًّا فَانْه لَهُ عَصْمَةٌ أَسْبَابُهَا لَا تَقْضُبُ
هُوَ الْمَهْرُبُ الْمَنْجَى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارَهُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُمْ مَهْرَبُ
لِبُوسُ جَمَالِ جُنَّةٍ مِنْ شِمَاتٍ شَفَاءُ أَسَى يَثْنِي بِهِ وَيُثَوِّبُ
فِي عَجْبٍ لِلشَّيْءِ هَذَا خِلَالَهُ وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطِّ أَعْجَبُ
وَقَدْ يَتَقَلَّبُ النَّاسُ أَنْ أَسَاهُمْ وَصَبْرُهُمْ فِيهِ طَبَاعُ مَرْكَبُ
وَأَنَّهُمَا لَيْسَا كَشَيْءٍ مَصْرُوفٍ يَصْرِفُهُ ذُو نَكْبَةٍ حِينَ يَنْكَبُ
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْسَى أَطَاعَ لَهُ الْأُسَى وَإِنْ شَاءَ صَبْرًا جَاءَهُ الصَّبْرُ يَجْلِبُ

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش إلى زمن عمر .

وليس كما ظنوها بل كلاهما
بصرفه المختار منها فتارة
إذا احتج محتج على النفس لم يكد
وساعدها الصبر الجليل فأقبلت
وإن هو مناها الا باطيل لم تزل
فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة
فلا يمدن التارك الصبر نفسه
لعل ليب مستطاع مسب
يراد فيأتى أو يزاد فيذهب
على قدر ما عني له يتعقب
اليها له طوعاً جنائب تحجب
تقاتل بالغيث القضاء فتغلب
وتسمى هلو عاً إذ تعذر مطلب
بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواء له
فاستشف منه بصفح أو معاتبة
واجمل طلابك بالآوتار ما عظمت
ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجايا الرجالِ سجيةٌ
وما الحقدُ إلا توأمُ الشكر في الفتى
فحيثُ ترى حقداً على ذى إساءةٍ
ولولا الحقوقُ المستكناتُ لم يكن
توفيك ما تسدى من القرض والغرض
وبعضُ السجايا ينتسبُ إلى بعض
فثم ترى شكراً على حسنِ القرض
لينقض وتراً آخرَ الدهرِ ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
الخير والشر عندى أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تنكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
عم أبي يقول : الصبر شرية ثمرارية ^(١) وقال * نفع أيام الكربة بالصبر *
وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدى على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرتُ جلادةً لكن لقلّة حيلتي أنصبرُ
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابطأصل الكركرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبرُ من عود بجنبه جلب قد أثر البطانُ فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن أبان بن عينة بن حصن :
 أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرِّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرِّكِ
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من التقشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لاحيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فإن مضرت طاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة فى العاقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرُ ونفعُ من لام فى الهوى ضرر
 من كان دون المرادِ مُصْطَبِراً فلستُ دون المرادِ أَصْطَبِرُ
 منفعة الصبرِ غيرُ طاجلةٍ وربما حالَ دُونُها الغيرُ
 فقم بنا نلتمس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدرُ
 ان لنا أنفساً تسودنا أعانهن ^(١) الزمان أو يذر
 وابع من العيشِ ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها فى الحلم ما سمعت عم أبى يقول الحليم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الدليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
 والتغافل عنه فى ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأول :

(١) فى الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً إذا كان عندَ السخطِ لا يتعلمُ
 كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً إذا كان عندَ العسرِ لا يتكرمُ
 ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذى تصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجدَ أقوامٌ وان كرموا حتى يذلوا وإن عزّوا لأقوام
 ويشتموا فترى الألوانُ مسفرةً لاصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام
 ومحمته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وان أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا فى هذا المعنى :

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمةٍ ويشتمُ ألفاً بعدها ثم يصبرُ
 ولا أعرف فى الحلم معنى أحسن من معنى معاوية فى قوله انى لأرفع نفسى أن
 يكون ذنبُ أورثه من حلمي وما غضبى على من أملك أو ما غضبى على من لأملك .
 يريد انى اذا كنت مالهكا للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسى
 الغضب وان لم أكن أملكه فليس يضره غضبى فلم أغضب عليه فأضر نفسى
 ولا أضره . وقال الشاعر فى الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مغض على العوراء لو لا الحلمُ غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبيَّ فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لى وان كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء فى هذا الباب وأحسنه . وأجود شئ قيل فى الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزمُ نفسى الصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ وان كثرت منه على الجرائمُ
 وما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوم
 فأما الذى فوقى فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
 وأما الذى مثلى فاب زلٌّ أو هفا تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالمرءِ حاكم
 وأما الذى دونى فان قالَ مُصنّتُ عن إجابته عرضى وان لامَ لائمُ

قسم هذا الشاعر ثم فاحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ماروي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعترى خلقي دَنَسٌ يغيرُهُ ولا أفنٌ
من منقر في بيتٍ مكرمةٍ وانفرُحَ يَنبَتُ فوقهُ الفصن
خطباءُ حينَ يقولُ قائلهم بيضُ الوجوه مصاقعُ لسنٍ
لا يفظنونَ لعيبِ جارهم وهم لحفظِ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأُمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلم
ومن أشرفِ نعوتِ الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدهاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصالحاً ومحتملاً وكافياً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرام السجايا والخصال . وقد خواف هؤلاء فقل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمُ أحياناً من الجهلِ أقبحُ
إذا كانَ حلمُ المرءِ عونَ عدوهِ عليه فإنَّ الجهلَ أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرنِ في الوغى كثيرُ الأيادي واسعُ الذرعِ بالفضل
ويحلمُ مالم يجبَ الحلمُ ذلةً ويجهلُ ما شدت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

ترفعتُ عن شتم العشيرةِ انْتى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحُلْمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شئ خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى رأيت تغدبه والصفح عنه
 إجلالاً لقد ر مولاه واعظاً ما لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفعك من سعد الدنيا قطوع الرحم بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعلوها وطول العفو أدرب^(٢) للظلم

أجود ما قيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الفلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارٍ يقتحمُ الردى ويصرُّهُ فى المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتل متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأعاجمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائمٍ
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجري سادر آفى طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الفقائمِ
 تجردت للإسلام عفو رسومه وتعى مطايا الليث الضراغمِ
 فازلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارمِ

لحي الله قوماً رأسوك عليهم أقول لبسام عليه جلالة
 من الفاطميين الدعاة إلى الهدى سراج لعين المستضى وتارة
 إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ولا تجعل الشورى عليك غضاصة
 وماخير كف أمسك الغل اختها وخل الهوى للضعيف ولا تكن
 وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :
 فاذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غيرك
 فانك لا تستطرد الهمة بالمي ولا تبلغ العليا بغير المسكارم
 وما قارع الأقوام مثل مشيع أريب ولا جلي العمى مثل عالم
 وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجحى قال سمعت المازني
 يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلى من ميميتي خير والفرزدق .
 وقيل لبشار ما أحسن أبيانك في المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته
 أو خطأ يشارك في مكروهه فقل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
 التي لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا أنكبر
 على وتصاغت له ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل في العيون
 مهيب في الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعض شأنك ورجفت
 بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه
 عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .
 وقال رومي فارسي نحن لائملك من يشاور فقال الفارسي نحن لائملك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملأت . ويقولون
الطمع طمع ، والطبع الدنس وأنشد :

لاخير في طمع يدعو إلى طمع وغُفَّةٌ من قوام العيش تكفي
والغفَّةُ القوت وأصلها الفأرة ^(١) وسُميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة ^(٢) :
ألا نمتي عميرة أن رأتي عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة بمعناها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لا تناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
ممسكاً ساقاً » أى لا يترك معتمداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أننى أتبيح لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :
ومحرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوت من الحياء سقياً
حتى إذا رفع اللواء رأته تحت اللواء على الخميس زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم
إذا غدا المسك يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الأصل (ثابت بن فطنة) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يَغْضُ الطرفُ فضلُ حَيَّائِهِ ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوان
وكالسيفِ إن لا يَنْتَه لَانِ مَسَّهُ وَدَّاهُ ان خاشنَتُهُ خَشَنان

وقال أبو دهب :

تَزُرُّ الكَلَامِ من الحَياءِ تَخَالُهُ صَمْتًا وليس بِجِسْمِهِ سَقَمُ
عَقَمَ النساءُ فلا يلدن شَيْبَهُ إن النساءَ بِمَثَلِهِ عَقَمُ
غیره : انى كأتى أرى من لاحياء له ولا أمانةً يبين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاعخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول :

ومالبُ اللبيبُ بغيرِ حظ بأغى في المعيشة من قتيل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وهيهاتَ الحظوظُ من العقول
والعرب تقول «اسع بجِدٍّ أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت ناقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مال

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خيرُ مال لدى كريمٍ يروحُ بغيرِ مال
وان تصبر فانَّ الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالي
تجمل إن بُليت بسوءِ حال فان من التجميل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفتنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الأمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا يذتفع الرجل بعلمه حتى يذتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروف إلى كل راهب وسبيك موقوف على كل راغب
تباشرت الدنيا بجدواك واكتفت فلم تتباشر بانغيوث الصوائب
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه في اختلاف النوائب
بصير له دون العواقب فكرة تكشف عن رأى وراء العواقب
ليشركك مجده لا تزال تحوطه وتحميه بالنصلين عزم وقاضب
كأنى اذا أمسكت منك بعروة أخذت باهداب الغيوم السواكب
وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول أى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى وخان بلادته الزمن الخوون
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكتسى اهابى سيني فى وجوه التجارب
تجلته بالرأى حتى أريته به ملء عينيه مكان العواقب
سلت له سيفين رأيا ومنصلا وكل لنجم فى الدجنة ثاقب
وكنت متى تهزز لخطب نقشه^(٣) ضرائب أمضى من رقاق المضارب
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنسا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بعضهم (٢)
و قال الآخر : سأ كتمه سري وأحفظُ سره
عليهم فينسى أوجهول يذيعه
كتوم لما ضمت عليه أصابعه
على سرٍّ بعضٍ أن قلبي واسعه (٣)
ولا غرني أني عليه كريم
وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سرِّ نفسه
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله المرء عقله
إذا كمل الرحمن للمرء عقله
يعيشُ الفتى بالعقل في الناس أنه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتى في الناس صحة عقله
ويزري الفتى (٤) في الناس قلة عقله
فصدُر الذي يستودع السر أضيق
فليس من الخيرات شيء يقاربه
فقد كملت أخلاقه وضرائبه
على العقل يجري علمه وتجاربه
فنو الجد في عقل المعيشة طالبه
وان كان محظوراً عليه مكاسبه
وان كرم أعرافه ومناسبه
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى
وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حيازي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضر بوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلم لهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حاهم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بجنذا فيره وجمعه بزوبره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بميب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تم شيء من الدنيا لذي أدب لا نضاف مال إلى علمي وآدبي
 قتم جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
 عز الكمال فلا يحظى به أحد فكل خلق وإن لم يدرك ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعرافه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القبر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانته مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرج بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتتُ عمراً بعضَ ما في جوانحي وجرعته من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدَّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرارُ نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أولَ كل أمر أبْتَ عِجَازُهُ إِلَّا التَّوَاءُ
وإن حملتُ أمرك كلَّ وَغْدٍ^(٢) ضعيف كان أمركم كما سواءُ
وإن داويتَ دنيا بالتناسي وبالليان أخطأت الدواءُ
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فخذطراً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو أخيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
جعله مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة ، واللبيس : الثوب قد أكثر لبسه فأخلق بكافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء
هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجواب فما يراجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان النهى وهو المهيّب وليس ذا سلطان
ومن أحسن تشبيه جاء في الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب
تسكن جوارحه فكان على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمر في القلب عتاباً له فان بدا أنسيت من هيبته
ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولأن قل منك نصيبها
لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبغ ولعلك
لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال
وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصور أملأ للعين من البدور
وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفها : وقد أجاد أبو تمام في صفة
الهيبة والمحافة فقال :

نبت المقام يرى القبيلة واحداً ويبرى فتحسبه القبيل قبيل
وقال :

قد أترعت منه الجوانح هيبه^(١) بطلت لديها سورة الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيش إذا غدوت وحيداً ووحيد في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجدِ يكثر معشراً
وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي المعونة :

شدّ الخطامَ بأنفٍ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا هيبةً تلقى البريءَ بفضلٍ جرم المجرم
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالشئِ تسكره وإن لم تعلم
ونهبَت من حزمِ السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد :

وأنتيت حياً في الحروب محالهم والجيش باسم أبيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمير
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيف والجياذ بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمد رصدان ضوءُ الصبح والاضلامُ
فاذا تنبه رعته وإذا غفا ^(١) سلّ عليه سيوفك الاحلامُ
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيتُ فيه الهومَ والأطما وصرتُ فيه بينَ الورى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمتُ كان لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ» وما وصف أحد هية صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحتري في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشم سميدع
يقومون من بُعد إذا أبصروا به لا بُلج موقورِ الجلالة أروع
ويدعون بالأساءِ مثني وموحداً إذا حضروا بابَ الرِّواقِ المرفع
وان سار كفَّ اللحظ عن كل منظر سواه وغض الصوتُ عن كل مسمع
فأست ترى إلا إفاضةً شاخص إليه بعين أو مشير بأصبع
وقوله : تراءوك من أقصى الساطِ فقصروا خطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
ولما قضوا صدرَ السلام تهافتوا على يدِ بسام سجيته رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم جلاله طلق الوجهِ جانبه السهل
إذا نكسوا أبصارهم من مهابة ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقوم فوق سروجهم تناثرت الأشرافُ منهم على الأرض
وقال البحتري :

ومبجل وسطَ الرجال خفوفهم لقيامه وقيامهم لقعوده
فالله يكلؤه لنا ويحوطه ويعزه ويزيد في تأييده
أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدَّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به
كأ بن زياد أثبتته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن رباح حدثنا علي بن حكيم الأذري حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي
رضي الله تعالى عنه فلما أصبحنا قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج راع
 أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأدوا إلى ركن وثيق
 يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
 والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تسكتسب به الطاعة في
 حياتك وجيل الاحدوث بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
 مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
 موجودة هاهنا ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً^(١) غير مأمون
 يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لجملة الحق
 لا بصيرة له في اجنائه فيقذح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أولاً
 ولاذا فمنهموم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
 الدين أقرب شياً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم بحجة
 إظهار وإما خائف اثلاً تبطل حجة الله وتبيناهن وكم وأين أولئك الأقلون عدداً
 الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
 في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلنوا
 ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
 أرواحها متعلقة بالحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
 والدعاة إلى دينه هاهنا شوقاً إلى رؤيتهم .

ومما حدث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
 بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكثر بالقريبحة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضنته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعه وبئسَ مُستودعُ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناءً عن جهولٍ مغمَرٍ دفاترُ تلقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضبِعةٍ وكائن رأينا من نفيسٍ يضبيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعلّ ولم يثن اللسانَ على مُهجر
يصرّفُ بالقولِ اللسانَ كما انتحى وينظرُ في إعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو الكلا م إذا اهتدبتَ إلى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
وبعجبني زئُ الفتى وجماله ويسقط من عينيَّ ساعةً يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً ورُبما سمعت من الأعرابِ ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحِب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه :

شفاء العيِّ في طولِ السؤالِ وعدلك في المقالِ وفي الفِعالِ
وبحثك في الأمورِ عن المعاني وتخريجِ المقالِ من المقالِ
وقولاك بالنصواب إذا أنات شواهدهُ ورفضك للجدالِ
وصمتك حينَ تسمعُ من حكيم ليفهمك الصحيحَ من المحالِ

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزير الأحران وواعظ ينهي عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغين ومُلهٍ يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبدالعزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا يباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم ف قيل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدى : ألصمت منام الماقل والنطق يقظته ولا منام الا يقظة ولا يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرنى بعض أصحابنا قال ناطقت فنى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ماترى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائنى قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الاثم أخبرنى عن الزرقان بن بدر فقال مطاع فى أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزرقان : إنه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدى . فقال عمرو : أما والله يارسول الله أنه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد لثيم الخال وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وأما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه فى حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه فى كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل فى باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنى الطيب بن محمد الباهلى قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمى على أبى العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث بن كعب فقال له ماتقول فى أخوالى قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت فى غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعماً وأوفاهم ذمناً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرغد في الجذب والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لأعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى أحوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكى . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأى جسد بلغ المسازح

ومثله : صارَ جَسداً مافرحت به رُبَّ جدٍ جرَّه لُعبٌ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه .

أجود ما قيل في التذاقر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه

وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعابنته وقال

يا بنى أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق

الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فانه نابكم الذى عنه تعبرون ومجنكم الذى

به تستجيرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن

يوسف فانه الذى وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتذاقر

وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمرى وإن لم يمدد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جُمنَ فإمها بالكسر ذو حنق وبطش أيد
 عزت ولم تُكسروا إن هي بددت فالوهن والتكسير للامتداد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماريان فإن كان في نفوسكما شيء من بعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئنا قالوا بل رضينا أكل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا لما قبلنا ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت يال الناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال النبي :

إذا سيدنا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلمة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظانارَ ضعفه
 إذا سمعته وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسى لى أبى ويهدم مصالحى
 يحاولُ رغبي لا يحاولُ غيره
 فان أتصر منه أ كن مثلَ رائش
 فبادر متى النأى والمرءُ قادرُ
 فان أعفُ عنه أغض جفنا على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى لين له وتمطف
 لا أستل منه الضغنَ حتى سلاته
 بجللى عنه وهو ليس له حلمُ
 قطيعتها تلك السفاهةُ والظلمُ
 وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
 وكلموتِ عندى أن ينالَ له رغم
 سهامَ عدوٍ يستهاضُ بها العظم
 على سهمه مادامَ فى كفه السهم
 وليس له بالصفح عن ذنبه علم
 وهل يستوى حربُ الأقاربِ والسلام
 عليه كما تحنو على الولدِ الأمُ
 وإن كان ذا ضغنٍ يضيقُ به الحزم
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الآيات فما أحسنها وأرضاها قال معن
 ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبى ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أ كتم فقمته اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيل قلت
 ان الله قد آتخفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأنى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه ردد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاعه جمود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته وإذا صغره عظمتها وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناه ونفخه فمهما أتيت من معروف فأنما أتيت لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفًا وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا تنذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطل الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتسج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نعيمها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيورها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فاجتمعك وأنا بامتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علي . بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استخى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبدأً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفى عنك عسرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخل على أمواله علل	زرق الميون عليها أوجه سود
إذا تكهرت أن تعطى القليل ولم	تقر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا ينفك قلته فكل ماسد فقرأ فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بعث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثل المعلى	وجدتُ عدوك التربُّ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعه فيه البخیلُ
فما هذا المطالُ فذلك نفسي	وباعك بالندى باع طویلُ
أظنك حينَ تقدَّرُ لي نوالاً	يقلُّ ليدك لي منه الجزيلُ
فلا تقدِّر بقدرك لي نوالاً	ولا قدری فيحقِّر ماتنیلُ
وأطلق ماتهمُ به عساهُ	كفافي أيها الرجلُ النیلُ
وإلا فالسلامُ عليك مني	نبت دارُ فالمرعَ بي الرحیلُ
إذا ضاقت على أمل بلادُ	فما سدت على عزيم سبیلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولكنَّهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاخته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلبي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قدأمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا في رأيت الذي
أخذت مني بمسألتني إياك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكبرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي لإقبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقليل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :
فأنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأئمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَعِيمٍ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَنِّمٌ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَرِيمٌ) فذم قوله وفعله وطاب شيمته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعل . ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراقٌ جميلٌ خيرٌ من صُحبةٍ على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدنَ كما تجعنيني وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتعت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيهةَ أمِّ عمرو إذا طابتنا لا تأمنينا

فمينك عينا اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا

وساقك ساقها^(٢) ولأُم عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا

ورأسك أزعر ولأُم عمرو غداً يُعفرفنَ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبنع وترعرع رغبته اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علقت خالداً وتركته أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبد^(٢) للعدى من السرِّ ما يُطوى عليه ضميرُها
رعى خالد سرِّي لياليَ نفسه توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيه وفي النفس منه غُدرة ونحورها^(٣)
لوى رأسه غنى ومال بودِّه أغانيجُ حَوْدٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّة تظللُ لأصحابِ الشقاءِ تدبرها
وما أنفُسُ الفتيانِ إلا قرائن تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حلمك اذ غزا وسافرَ والاحلام جمَّ عثورها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلاً شاعى تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه انما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزها^(٦)

(١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على ما في ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مقلد ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فأت قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الفزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تعدل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تتنقذها من ابنِ عُويمٍ وأنت صفتُ نفسه وسجيرها
فإن يك يشكوك من قريب مخانة ^(١) فتلك الجوازي عَقبها ونُصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرَى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمرّاً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر و علائقتها
وخلاد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر و معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فبعموه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمر و أبي الطيرِ المرية غدوة على خالدٍ إن قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله عشيّة لآفته المنية بالردم
فأنك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ منعت ^(٢) الستارَ بين أظلم فالخزم
علمت بأن البابَ ليست ؟ ولا البكر لاضمت يدك على غم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل :

لحي الله من لا ينفعُ الودُّ عندهُ ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرن
ومن هو ذولونينِ ليس بدائمٍ على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاءه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عابتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه منتفع وأشبه البر بالمعقوب ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة :

عليه النفوس . وقد قال الشاعر :

ونيس بمنن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوعِ شفيعٌ
وكتب السكرخي : قد واصلت أياماً تباغذو آ إليك ورواحا حتى ماني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقه
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمانهِ الصبر فان عطفك
حفاظاً فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملئى الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهدٍ الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مالَ الصديقُ على حرفٍ
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كفى
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولسكني
أسامحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الإلحاح فأنقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنماً إذا جئتكم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشري فللمزَّ عندهم منكب
يُقرَّب مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقي وواصلُ صديقاً ماتعتب

ومما يجري مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحب الارضِ أوطاني
فان صدَدْتُ بوجهي كي أكاثتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان
وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم ليالى عودكم حلو المذاق وفيكم مستعتبُ
فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكم ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برُّ ينفعُ
واعلمُ بأنى لأنسرُ بحاجةٍ إلا وفي عمرى بها مستمتع
ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :
يا أيها الملكُ النائي بفرَّته (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كُشِبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لى أملاً أن السماء تُرجى حين نحتجب
مادونَ بابك لى باب ألودُ به وما وراءك لى مشوى ومطلب
وقوله في أبي سعيد :

لعمركُ لليأسُ غيرُ المريثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعانِب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الاصل « لمرعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطق
وأنَّ امرأً ضنتُ بدهاءِ على امرئٍ
أخذه من قول مسلم :

وأحببتُ من حبها الباخلينَ
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
بغارٍ على المالِ فعلَ الجوادِ
وقول أبي تمام :

لآل وهبٍ أكفٌ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غباري دُونَ مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى بيهجتهِ
. وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقومٍ استعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيراً ناصر
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقفَ المذخور مني بمنزل
هي النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
وسأل بعض الزُّمَّاء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن نخ
وكفاك أندى في العطايا من الزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤلؤ حمراً وسوداً». (٢) في الديوان «أن يجوداً».

فلا يكن المبذول للوم^(١) سممه وقرطاسه^١ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جمحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر^٢ والحر^٣ للفعل الجليل شكور
لكن رأيت^٢ بيب دارك جفوة^٢ فيها لصفو صنعة تكدير
ما بال دارك حين تدخل^٢ جنة وبيب دارك منكرو^٢ ونكير
غيره : ^(٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدت^٢ إلى ترك^٢ الحياء سبيلاً
وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأوّل :
وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت^٢ الملا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(٣) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليللة تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول طارها
فلا تمكنن^٢ المطل من ذمة الندى فبئس أخوالاً يدي الكبار^(٤) وجارها
فان الأيادى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قد بات بالأمس صادقاً^(٥) إذا ما ساء اليوم طال انهمارها
وخير عدات المرء^(٦) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
وما العرف^(٧) بالتسويق الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

(١) (اللوم) ساقطة من الأصل فاستدر كذاها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (الحياء) . (٣) وديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لملك بن طوق وقد حجبه :
 قل لابن طوق رحاسد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماء وكيسها علماً ودغلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقفلة غنى وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من يدي خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم أقالل وليس
 عندي أنك تمل صديقاً صدوقاً وشفيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقل وبجر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقللت فتسأمني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت عاتبت الصديق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغربها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكتبني : أبا عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الزلاء وعلى ما احتواه من ذنوب الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وهجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تزد نقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكفأك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدراً ولا الشبل ليلًا ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبريتياً وهو الحيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته
 ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليفاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضرك ولا ينفعك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

مأبالٌ من أوله نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولربِّ مولى لا يفضُّ جاحهُ طولُ العتابِ ولا عناءُ العذلِ
 يطنى عليك وانتَ تلامُّ شعبه والسيفُ يأخذُ من بنانِ الصيقلِ
 ضاقَ الزَّمانُ فضاقتَ فيه قلبي والماءُ يجمعُ نفسه في الجدولِ

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلونَ محلهُ ؟ فنزلكم للحمدِ والشكرِ منزلُ
 رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدكم فقد يسألوكم فوقَ ما كان يسألُ
 وقصرَ عن مسعاكمُ كلُّ آخرٍ وما فاتكم ممن تقدَّم أوَّلُ

بلغتُ الذي قد كنتُ أمله لكم وان كنتُ لم أبلغ بكم مأثراً
وملكَ حقٌّ واجبٌ غير أني اليكم بكم في حاجتي أتوسلُ
قال أنتم أنعمتم وبررتُم فقد يستتمُّ النعمة المتفضل
وان كنتم أوليتموني تفضلاً جيلاً فانَّ العودَ بالفضل أفضل
وكم ملحفٍ قد نالَ منكم رغبةً وبعثنا من أن نُلجَّ التجمل
وعودتموني قبل أن أسأل الغنى ولا يكمل المعروف والوجه يبدل
وقال ابن الرومي :

من الحيف تحسيس^(١) النوال ومطله فمجلٌ خسيساً أوفاجل موفرا
وكن فخلّة تلوى وتسنى عطاءها وإلا فكن عقصاً أقلّ وبسرا
وقال : يا شبّية البدر في الحسن وفي بُعدِ المثال
جُدْ فقد تنفجر الصخرةُ بالماء الزلال
وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمتَّ وزارتهُ لا نجتمعنَّ على العار والنارا
ان كنتُ أحسنتُ في وصفى ما ترمك فأثروا في بالاحسان آثارا
وإن أكن قلتُ مالا أستحقُّ به^(٢) منكم ثواباً فردوه وما سارا
ان المديح اذا ماساراً مُنفرداً من الثواب كسى من قاله حازا
فقد يمرُّ بليغ في بلاغته وقد يظنُّ سوى المختار مختارا
أسهبتُ فيكم لكي أعلّي فطاطي تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
ان السلايم لا تبني أطاولها يوماً ليهبطَ بانيهنَّ اغوارا
لكن ليصعدَ انجاداً تشرّفه حتى يمدَّ اليها^(٣) الناس أبصارا
وقد هبطتُ بما شيدتهُ لكم من حائقٍ ولعلَّ الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تحسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١)
 نقلت في كفة الميزان فانكد رت
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته
 لابنى سمير^(٢) صروف غير غافلة
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم
 ومالى لا أنفك أنى مسنداً
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر
 وكم قائل أبلفت فيما تقوله
 وقلت: قد كنت تولين الحسنى وتكرمنى
 فما بدا لك في مجود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى فاب لنا
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها
 أركب من المسك فى أصداع غانية
 وللصاحب بن عباد فى الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بى من شعره أجود منها فنها:
 سيشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يزعزعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يزعزع لعلع
 وقد طرف البحرى فى قوله يستبطن محمد بن العباس الكلابى:
 المنة الدينار منسية فى عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفى

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط (هبطته). (٢) فى الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث — كما فى جنى الجنيتين.

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيف لا تجمع لها ألفا
وقوله : عمرت أباسحق مصلح العمر
فانت ندى نحيابها حيث لا ندى
وقطر برجى جوده حيث لا قطر
على أننى بعد الرضا متسخط
ومستعجب من خطه سلهها وعر
وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها
بأهل ولا عندى بتأويلها خبر
فلم جئت طوع الشوق من بعد غايتى
الى غير مشتاق ولم ردنى بشر
وما باله يأبى دخولى وقد رأى
خروجى من أبوابه ويدى صفر
ومن جيد ما قيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عونى على المرء تقاضيته بترك التقاضى
وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم متى تقاضيا
وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك
يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
أنت أمضى من أن تحرك للجسد ولكن شراة الشعراء
وفى خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى
وقول الآخر : ولعموت خير من حياة زهيدة ولتنع خير من عطاء مكدر
ومن مديح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامسا كي ليس
باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى
الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :
فان كنت مأكولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق
ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعى القلى وسبب

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في الحمد ومدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التقاضى	وليس لديك غير المثل نقد
خلا وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرض دونه مظل يمد
إذا إنجاز وعدك كان وعداً	فيكفينى من الوعدين وعد
وقال: سألت قفيزين من حنطة	فجدت بكر من المنع واف
وأنتبت منعك لى بالمجاب	مهلاً هديت ففى المنع كاف
كانى سألتك حب القلوب	ذاك الذى من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما نرجوه منك فانتا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا تعتذر بالشغل عنا فانتا	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت اليه عيني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لوددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رماح بني نمير الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغلي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر باتباعه قاتلى أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صحناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طمن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة يبنى
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلَّهِ مَنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ أَنْبَصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* ففض الطرف إنك من نمير * فخرجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائصا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفى وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخاكم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً
لسان رمح عامر أذكرك في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنه وأمه كبشة
بنت عروة الرجال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحفاء وأملك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علانة^(١) من النخع ، ثم خلا بامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كان لك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أتما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أتما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكأن الشر حاضرًا . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منحدرًا من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلًا
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تفنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتوه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزَّاهرِ
لا يأخذُ الرشوةَ في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسرِ
علقمُ ما أنتَ^(٣) الى عامرٍ الناقضِ الاوتارِ والواترِ
واللامسِ الخليلِ بخيلِ إذا تارَ عجاج الكسهِ الثائرِ
ساد وألنى رهطه سادةً وكبراً سادوك عن كابرِ

وشد القوم على الابل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد
علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتانى وعيدُ الحوص من آل جعفرِ فيا عبدَ عمرٍو لونيتِ الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدر كناها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لانت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمك وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا
 كلا أبويكم كان فرع دطامية ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرى بيتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء القأتمات القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراصا
 فعض حد يد الأرض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواصا
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكأوه زيادة عليه في العار . والعرب تعير
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ لنحن أغلظُ أكباداً من الابل
 وقال جرير :

بكى دوالٌ لا يرفأ الله دمه ألا إنما يبكى من الذلّ دوال
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريته أمم
 جاريته قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجمحي (وكان الخطيئة مع علقمة بن علانة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريته فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جاريته قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الأخوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمر بن الأخوص ، كافي جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .

(٣) في طبقات الجمحي وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بمدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة :

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما وإمكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت إلى عامر * فر على السنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ الثاب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيدا الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثي يبتن خائصا
ولى الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتر بهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تر حلّ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس ويحيى
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الاغانى « رزق من يعتر بهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجري :

مازال فينا رباط الخيل معلة وفي كليب رباط اللؤم والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمهم خادمهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيوها . بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قتلها كانت تطفئها بيوها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :
وبرحر حان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور
وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألست كليباً إذا سيم سوءة أقر كافر الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجري أو لمن في طبقته لحكم على جميع
ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت
ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت
ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت
وأبلغ ما قيل في الخول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قومٌ أقامَ بدارِ الذلِّ أولهم كما أقامت عليه خدمةُ الوتدِ (١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقةٌ شعرت برحلٍ ونمرق إلى حكمٍ تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :
 ولو أنَّ ثعلبَ جَمعت أحسابها يومَ التفاخرِ لم تزنْ مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤمُ أكرمُ من وبرٍ ووالدهِ واللؤمُ أكرمُ من وبرٍ وما ولدا
 قومٌ إذا جرجانٍ منهم (٢) أمنوا من لؤمِ أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي (٣) في بني العجلان :

قبيلةٌ لا يغدرونَ بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماءَ إلا عشيَّةً إذا صدرَ الورَّادُ عن كلِّ منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :
 إذا الله حادى أهلَ لؤمٍ ورقةٍ فعادى بنى العجلان رهطَ ابنِ مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلةٌ لا يغدرونَ بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :
 ولا يردون الماءَ إلا عشيَّةً إذا صدرَ الورَّادُ عن كلِّ منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب
 « النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعنى الازدحام ، قالوا وقد قال :
تغاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوف وكعب ونهشل
قال أحيا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
وما سُميَ العجلان إلا لقليلهم مُخِذِ القعبِ واحلبَ أيها العبدُ واعجل
فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجاءهم واسكن
سلح عليهم قهدهد النجاشي وقال ان عدت قطمت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
* تغاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحرى :

ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب
وهان عليك سخطي حين تغدو بمرض ليس يأكله الكلاب
ومن التناهى فى الاحتقار والحقول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الاشافر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق
ان الاشافر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
لا يكثرؤن وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
وقول الآخر * لو يحلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على البارئ القديم
وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا
إنى أقول مقالة تجرى بها لو كنت من كرم اسكنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمھانى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيادة الاعمج .

ونحوه قوله: هب من لشيء يريد حجابهُ ما بالُ لا شيءٍ عليه حجاب
وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشعار قول الأول :

فلو أني بليتُ بهاشمي خولتهُ بنو عبد الداني

صبرتُ على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكار جل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى نزهة وفينا زياد أبو صمصمه

فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوبا كما زادوا

ولا يهولنك من دهائمهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد

عجبتُ من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثماله كلَّ حيِّ فقال القائلون ومن ثماله

فقلتُ محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أميس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فدقَّ عرضك دونه والمدحُ عنك كما علمت جليل

فأذهب نأت طليقُ عرضك إنه عرضُ عززت به وأنت ذليل

فجعله نور الاله والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقتته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن الحسن قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما نشأ وأبرق يمينا وأرعد شمالا
 نجابك لؤم منجى الذباب حته مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجد خيراً منها فى معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب .
 وأنشد الجاحظ :

ووقفت أنك لا تسبُّ حماك لؤمك أن تُسبّا
 وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عراً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع ثقيلك اذا ساء منك الصنيع
 فقل لعدوك ما تشتهى فانت الرّفع المنيع الوضع
 وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لا تفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيماء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
 يقول قد أسرف فى هجونا وإنما زاد بذاك السرف
 غالب لا تسعى لتبنى العلا بلغت مجدداً بهجائى قفف
 قد كنت مجهولاً ولكننى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع فى حياته وفى موته فجيرة قول بعضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لا نفع وموتك فاجم
 وقال ابن الرومى :

فلا تحش من أسهمى قاصداً ولا تأمن من العاير

ولكن وقال معرأتها نضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوتُ بكلِّ لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان له الهجاءُ مديحاً
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت شهاباً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبهك الكلب فقد بالغ في مدحك
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أنهم جو مثله في سقوطه فقلت لهم جريتُ سيفي على كلب
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرّ بي مرّة فقال مهلاً يا أخا خالد
حسبكم خزيّاً بني آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك ^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسّطتهم صارت ^(٢) على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليسُ سروراً بهم لأنهم طارء على آدم
وقلت : قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويت قلبك كيا
أترى انني أعدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخول قول زياد الأعجم :

إذا مانتقى الله امرؤً وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جرم
وله جمعتُ جرمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شباعاً يضربون من الشحم
ومن يبلغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثلُ أخلاقٍ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها للمعة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرشودها
إذا امرئياتٌ حللن^(٣) بيلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سراويل عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدٍ إنها دولٌ وأحراها بأنْ تنقل
هلا جعلتَ لنا كحرمةٍ دعبلٍ في استِ أمِّ كلبٍ لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبتَ إلى بردٍ وأنتَ لغيره فبهك لبرد نلت أمك^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد مجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحاد في هجائي في هذا البيت
خمسـة معانٍ أوردها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتهِ ما بينَ ذى فرح منها ومهموم
ومالكٌ ظلٌّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبسنى بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرو بنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كنها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقيـل الأمرُ مصنوعُ
إنَّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خَلْقٍ تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يغدروا أو يخلوا لم يـفـلوا
وغدوا عليك مرّـجـلـين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شهباً إلا التيوس على أبقائها الشعرُ
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أوقامروا الزنج عن أحسابهم قمروا
كانَّ ريحهم في الناس إذ خرجوا ريحُ الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتيم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثلهُ ولست بخيرٍ من أيك وخالك
وإنَّ أحقَّ الناسِ أن لا تلومهُ على اللؤم من ألقى أباهُ كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمرَ استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي ، وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بشار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) قى ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بحار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهَ ذا المنِّ من فضله ولا تسألنَّ أبا وائله
فما سألَ اللهَ عبدهُ له نخابَ ولو كانَ من ياهله
وقال الآخر : ولو قيل للكلبِ ياباهلي لأعولَ من قبح هذا النسبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوكَ بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ
أيتُّ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهم واحدِ
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحلتَ به دَعْوَةُ الوالدِ
فبعتك منه بلا شاهدٍ مخافةً أدركَ بالشاهدِ
وأبتُ الى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وليس يَبَاقُ وَلَا خَالِدٌ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ تنفس من منخر واحد
رَضِيتُ لَتَشْتِيتُ^(١) أُمُواله يدى وارثٍ ليسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومى ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول ان النظر بهما فى زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذى لا شبيه له قول بعضهم :

الى الله أشكو انى بتُّ طاهراً فجاءَ سلولىَّ فَبَالَ على رجلى
فقلتُ أقطعوها بَارَكَ اللهُ فيكمُ فانى كريمٌ غير مدخلها رحلى
وقلت : وقفت لديكمُ للسلام عليكمُ وقوفى على أطلالِ سلمى وعاتكة
يرومك تسليم العفاة كأنه بوادرُ طعنٍ فى الضلوع مواشكه
وما فيكمُ حرٌّ يكرمُ ضيفه ولكن إذا ماساء أكرم نائله
وان كنتمُ ناساً وما أنتمُ بهِ فان القروء والكلاب ملائكه
وليس فى هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت اليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون ما لهم رد قبيح وقول ليسَ بالحسن
فلم أفرز منهم إلا بما حملتُ رجلُ البعوضة من فخارة اللبن
وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ما تعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبى طاهر لدعبل :

أنقفلُ مطبخاً لا شيءَ فيه من الدُّنيا تخافُ عليه أكل
فهذا المطبخ استوثقت منه فما بالُ الكنيفِ عليه قفلُ
ولكن قد بخلت بكلِّ شيءٍ فحتى السِّلح منك عليك بخل
وأنشدنا : وإنَّ له إطباخاً وخبزاً وأنواعَ الفواكه والشراب
ولكن دُونَه حبسٌ وضربٌ وأبوابٌ تطابقُ دُونَ باب

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط « لتفريق » . (٢) فى النسخ « يقتر » .

يذودون الذبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبَنَّ خيرَ زلٍّ عن يده^(١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليَّتهُ^(٢) ان قال مجتهداً
 وان همتَ به فافتكُ بخبرته
 قد كان يعجبني لو أنَّ غيرتهُ
 وقال آخر : يزْدَادُ لوماً على المديح كما
 وقلت : مُخْبِرُ الأُميرِ عَشِيَّةً
 وإذا بدأ جليسه
 وتحوَّطَه أحرأسه
 فالزورُ يُصفعُ عنده
 وقال آخر: قتي لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودون رَغيفه قلعُ الثنايا
 وقال آخر: إنَّ هذا القتي بَصُونِ رَغيفاً
 هو في سَفَرَتَيْنِ من أديمِ الطا
 مُخْتَمَتِ كُلُّ سَلَّةٍ بِرِصَاصِ
 في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى
 وقلت : لِنَاسِدَةٍ وَاحِدَةٍ مَاجِدَةٍ
 لثيمٍ إذا جاءهُ طَارِقٌ
 كَأَمْثَالِ الْمَلَائِكَةِ الْغَضَابِ
 قال كوكبُ النُحسِ يسقي الأرضَ أحيانا
 « لاو الرغيفِ » فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمِ ودمه
 على جرادقةٍ كانت على حرمة
 يَزْدَادُ نِتْنُ الكلابِ بالمطر
 يَغْدُو عليه يُبْلَعُ به
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذبُّ عنه كَتَاتِبُهُ
 والضيفُ ينتفِ شاربه
 واكبلانِ من دُرٍّ وشنفر
 بكاء الخنساءِ إذ فجعت بصخر
 وحرَبٌ مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلٍ^(٣) من سبيل
 ثف في سلتين في مندبل
 وسيورٍ قد دنت من جلد فيل
 والمفاتيحُ عندَ ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كلُّ ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في القمد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من القمد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبره إذا كان يمنهم ماءه
فما ولغ الكلب في لؤمه لما زال يقذفُ أمعاءه
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد المسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرِّوْثَ في أعفاج بقلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ المصافير
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبلا
وأجرت لي جبلا طويلا تبعته ولم أدر أن اليأس في طرف الجبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلَى^(١) وقدر الرِّقَاشين زهراء كالبدر
يُبَيِّثُهَا للمعتنى بفنائهم ثلاثا كمنقط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر
ولو جثتها ملائ عبيطاً^(٢) مجزراً لا أخرجت ما فيها على طرف الظفر
غيره: يحصن زاده عن كل ضرر ويعمل ضرره في كل زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى بيت لا بُرْهَةَ الايادى
قليل المسال تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعم دُونَ الشعب أولاده ويختم البرمة والجفنه
لم يرو إلا خـبراً واحداً قد تذهب البطنة بالفطنة
وقال آخر: ظهرك اذ سألتك ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمة نزهتها من أن تدنس بالدسم
بيضاء يُشرق نورها كالبدر في غسق الظلم

(١) الصلَى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ المَدَّحَ في الأُممِ
أو كانَ فَعْلُكَ مِثْلَ قُوِّ لَكَ كُنْتَ تَارِيخَ الكَرَمِ
ومن أْبْخَلَ يَدَكَ قِيلَ :

وما رَوَّحْتَنَّا لَتَذِبَّ عَنَّا
ولكن خَفْتَ مَرِزْمَةَ الذِّبَابِ
وقال أبو نَواصٍ يَصِفُ قَدْرًا :

يَنْصُحُ بِمُخْلِقِ الجَرَادَةِ صَدْرُهَا وَيَنْصَحُ مَا فِيهَا بَعُودَ خِلَالِهَا
وتَغْلِي بِذِكْرِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرِّهَا وَتَنْزِلُهَا عَفْوَاً بِغَيْرِ جَمَالِ (١)
هِيَ الْقَدْرُ قَدَرُ الشَّيْخِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ رَبِيعَ الْيَتَامَى عَامَ كُلِّ هَزَالٍ
وقال ابن الرومي :

رَأَى الْبَخْلَ طَبَّافَهُو يَحْمِي وَيَحْتَمِي فَلَسْتُ تَرَى فِي بَيْتِهِ غَيْرَ جَائِعٍ
ومن أَجُودَ مَا قِيلَ فِي زِيَادَةِ الْبَخْلِ وَالشَّحِّ مَعَ زِيَادَةِ الْمَالِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :
إِذَا غَمَرَ الْمَالُ الْبَخِيلَ وَجَدْتَهُ يَزِيدُ بِهِ يَدْسًا وَإِنْ ظَنَّ (٢) يَرْطُبُ
وَلَيْسَ عَجِيبًا ذَاكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ إِذَا غَمَرَ الْمَاءُ الْحِجَارَةَ تَصْلُبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رَغِيْفَكَ فِي الْحِجَابِ عَلَيْهِ قَفْلٌ وَحِرَاسٌ وَأَبْوَابٌ مُنِيعَةٌ
رَأَوْا فِي بَيْتِهِ يَوْمًا رَغِيْفًا فَقَالَ لَضِيْفِهِ هَذَا وَدِيْعُهُ
وأنشدنا عنه :

لَهُ حَاجِبٌ مُدُونُهُ حَاجِبٌ وَحَاجِبٌ حَاجِبُهُ مُحْتَجِبٌ
وقال أبو تمام :

لَا تَكْلِفْنِ وَأَرْضُ وَجْهِكَ صَخْرَةً فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ مُؤَوَّنَةٍ حَاجِبِ

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبسًا وإن
ظن) فاستدركنها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لا تتخذ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القوم يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحب أسرفت في مدحه
 حجابهُ ألزمني منزلي
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهل إلا أن تقرّظاً معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لا خير في صاعد فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسب
 والخير يأتيك من يدي عمر
 كأنه آدم أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجه كآخر الصك فيه
 كخطوط الشهود مشبهات
 وقلت: إن كان شكلك غير متفق
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا
 لمحات كثيرة من رجال
 معلمات أن لست بآبن حلال
 صورت من نطف قد اختلفت
 فأتت خلالك وهي مختلفة
 فكذا خلالك غير مؤلفة
 فوئنت من ذا قبح منظره
 وورئت ذاك خناه^(١) أو صلفه
 غيرتني أن رحت في سمل
 والدر لا تزرى به الصدفة

وأجود ما قيل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام العصفير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعَرَضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مَصْلُوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا قت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشمِ الشريفة
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضُ أبي إسحقَ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ
 لا يلتقي والهم في مجلس أو يلتقي الإدراكُ والفوتُ
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصدبت له وأنت لو توجت ^(١) بالثرى وتمنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالجرة وتقلدت قلادة الفسكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
 وثقيل أشدَّ من غصص المو ت ومن زفرة العذاب الأليم
 لو عصت ربها للجحيم لما كا ن سواه عقوبةً للجحيم
 وأبداع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا ن خفيفاً في كفة الميزان
 ولقد قلت حين طلَّ على القو م ^(٢) ثقيلٌ أربى على ثهلان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 العقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيءِ لغوٌ ثم أردفتَ ذلةَ التصغيرِ
محقرَ الفضلِ ثم صغرتَ عنه زادك الله يا صغيرَ الحقيرِ
ثم عرجتَ فاحتواك انتقاصٌ في اسمِ سوءٍ وجسمِ سوءٍ ضيرِ
ثم بردتَ فانتصفتَ من النارِ ر ببردِ يربى على الزمهريرِ
فقبولُ النفوسِ إياكَ عندي آيةٌ فيكَ للطيفِ الخبيرِ
إنَّ قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم لعلى غاية (١) من التسخيرِ
أو أناسٌ غدوا وراحوا من الظَّرِّ فِ على حالةِ الفقيرِ الوقيرِ
فمتى ظفروا بزورِ ظريفٍ أعجبتهُم زخارفُ التزويرِ
كالأغاربِ لم يروا درمكَ البرِّ فهم يعظمونَ خيرَ الشعيرِ
وكذا القومُ لم يروا لجةَ البحرِ — ر فهم يكبرونَ ماءَ الغديرِ
ياثقبلاً على القلوبِ خفيفاً في الموازينِ دونَ وزنِ النكيرِ
طر سخيلاً وقع مقيتاً فطوراً كسفاةً وتارةً كشبيرِ
وله : وثقيل سبحانه من ثقیل وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند
حمل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالث من أد

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) مأخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقی ولا يَدَرُ
له أثرٌ في المكرماتِ يسرُّنا وأنتَ تعفى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطه» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الاغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطانُ خزياً بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وأن جهدتَ ببالغ^(١) سعيَ ابن عمك في الندى داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّمُ ليس كالحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ عجباً لذاك وأتما من عود
 ولربَّ عود قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشَّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجةٌ أزلتها بكريم قومٍ أو لئيم
 فاذا الكريمُ من اللئيمِ — أو اللئيمُ من الكريمِ
 سبحانَ ربِّ قادرٍ قدرَ البريةِ من أديم
 فشر يفهم ووضيعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اختبرتَ حميدهم ألفيته مثلَ الذمِّم
 لا (نفعَ فيه)^(٥) للصفي — من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبرِ الجسو م ولا تسلُ رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
 أنه جوهٌ ولست له بكفٍ فشر كما خلير كما الفداءُ

(١) في الأغاني (بمدرِك) . (٢) في الأغاني (ذي العلا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حُرَّةٌ وقد يلد الحرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبَنَّ الناسُ منكُ ومنهما فما خَبَثَ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليل خبير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الخليقانِ المذلة والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 نلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حلَّتْ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بحيرانِ
 فقال هذا الأُم بيت قائمه العرب . والنزوع ههنا ردء . والجيد النزاع ، وأما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قائمه العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومدارائه لأهل زمانه ، وقال أهرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزءاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاقُ أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاقَ أوَّلَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رماه بالأصائلِ ناظري وغصن ثناه بالغداةِ يميني

وَإِنِّي لَأُنْسِي الْعَهْدَ إِذَا أَتَيْتُ بَنَاتِ النُّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَحَوْنِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أُرْعَ الْعَهْدَ عَلَى النُّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وَسَنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فِيمَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) . وَمِمَّا لَا تَسْكَادُ
 تَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ بِبَرْقَعِيدٍ ^(٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَعَلَ الْأَمِيرُ يَمَاتِبُ جَارِيَةً بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدَبٌ لَعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بَرْقَعِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ ^(٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ ^(٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَاسِلُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ يَصْطُكُ الْحَدِيدُ

وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّذِي تَقْدُمُ :

قُلْ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ فَعْنَاهُ كَعْدَمِهِ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرْيِ يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي الْأَوْمِ حَدَّهُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ يَمْدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ

وَقُلْتُ : قَرَأْنَا مُبْقُولًا إِذْ أَنْخَنَّا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبَهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرْيَ وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ ^(٥) قَائِمِ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائز وان جازٌ في فقه ^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استنزّه تعاوُرُ ضيفٍ في دُجى الليلِ طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
 وأطعمنا لما مرقنا ^(٢) من الدُّجى دحاريجَ لانتساقُ في حلقِ طاعم
 مُدَوَّرَةً سودَ المتون ^(٣) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيش قوائم ^(٤)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناء للحطية ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ غنى لستَ بي أخبرَ منى

أنا إنسانٌ برأى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسمَجُ في العيين فدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأخوس ^(٥) ولاجٌ على ورائحٍ رجاءَ نوالٍ لو أعين ^(٦) بوجود

زَوَيْتُ ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد ^(٨)

فان كنتَ لاعن سوء فعلك مقلماً فدونك فاستظهر بنعل حديد

فعمدى مطلق لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍّ منتظر يا شرٍّ منتظر

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فى ميساتى .

(٢) فى الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) فى ديوان أبى نواس (وأخوس) بالخاء المعجمة ، ولعل ما فى الأصل هو

الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لويغان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .

(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنتَ اللّثيمُ فإن تصبر فمن قحة على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين تالمه شبيهه عضُّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شهماً منه ولم تذر
وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجه البرقعيدى ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونيه
سريت ونومي فيه نومٌ مشرّدٌ كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
على أولق فيه اختبالٌ^(٢) كأنه أبوجابر في خبطه وجنونه
ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبتها مسومةٌ تدعوا عبيداً وأزماً
أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تسكرٌ عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره يحول أويغور من صفره
لو صاح في الليل به صائحٌ لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرنٌ سليمان قد أضرَّ به شوقٌ إلى وجهه سيدنه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فدلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلبت تشجني ضلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً كفّل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحداً عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهايل
لما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً
وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً هُمُ الهربُ
أني الفرارُ وترك الحربِ إذ كشفت عنك الهوينا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلمُ فرعون- العذاب وان تطلبُ نداه فكلبُ دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نِفْرِجَةٌ يَنفِرُ مِنْ ظِلِّ الشَّجَرِ فَوَادُهُ أَثْنَى وَضْرُسِهِ ذَكَرُ
وَالنَّفْرِجَةُ الْجَبَانُ . ومن جيد ما قيل في النضير قول بعضهم :

الكوكب الذنبى يخبر بالعجائب بعد سبعة
خلعوا عليه ويجلو ه وصار في عزٍّ ومنعه
وكذاك يفعل بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه
وقريب : وزارة العباس منكوسة تقطع الدولة من أسها

كَأَنَّهُ حِينَ غَدَا رَاكِبًا فِي خِلْمَةٍ يَمَجُزُ عَنْ لِبْسِهَا
جَارِيَةُ السَّوَاءِ إِذَا جَرَبَتْ ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا
وَأَكْسَلَ مَا سَمِعْنَاهُ مَا أَنْشَدْنَاهُ أَبُو أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَمَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ
سَعِيدِ الْأَمْوِيِّ لِبَعْضِهِمْ :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلَمَى وَكَانَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
فِي أَخْذِهَا وَيَطْرَحُهَا بِجَنبِي وَيَرْقُدهَا وَقَدْ كَشَفَ الْغَطَاءَ
وَيَأْخُذْنِي وَيَطْرَحُنِي عَلَيْهَا وَيَرْقُدهَا وَقَدْ قَضَى الْقَضَاءَ
وَيُرْسِلُ دِيمَةً سَحَا عَلَيْنَا فَيَغْسِلُنَا وَلَا يَلْقَى عَنَاءَ
أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ أَحَقِّ
الْأَعْرَابِ ؟ قَالَ أَعْرَابِي سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْمَوْسِمِ وَجَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ لِحَالِهِ وَشَأْنِهِ
وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَاتِي قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَكَ الْوَفْدُ . قَالَ ثَعْلَبٌ أَفَلَا أَدْلَكَ عَلَى أَحَقِّ
مِنْهُ الَّذِي يَقُولُ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهُ فِي سِتَّةِ وَأَبْوِكَ يَمُدُّ حَوْضَهُ فِي عَامٍ
وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ أَيُّ الشُّعْرَاءِ أَشَدُّ حَقًّا ؟ قُلْتُ الَّذِي يَقُولُ :
أَتَيْهِ عَلَى إِنْسِ الْبِلَادِ وَجَنَّتْهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَنَهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْهِ فَلَا أَدْرِي مِنَ التِّيهِ مَنْ أَنَا سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَقُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ فَمَا فِيَّ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ
فَقَالَ مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ وَكَيْفَ الْكِبَرُ مَعَ
النَّظَامَةِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقْتَ وَالرَّحِمُ الَّتِي فِيهَا حَمَلْتُ وَالْغَدَاءُ الَّذِي بِهِ غَذِيت .
وَمِنْ بَلِيغٍ مَا جَاءَ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : التَّوَاضَعُ مَعَ السَّخَافَةِ وَالْبَخْلُ أَحَدُ
مِنِ السَّخَاءِ وَالْأَدَبُ مَعَ الْكِبَرِ وَالْعَجَبُ . وَقُلْتُ فِي مِثْلِ هَذَا :
وَعِنْدَهُمْ مُذْنِبٌ مُنِيبٌ أَحْمَدُ مِنْ مُحْسِنٍ مُدَلِّلٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي صَلَابَةِ الْوَجْهِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : لَوْ دَقَّ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَاهَا

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
بألت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيته وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فانها خلعت خلعاً العدم^(١)

فهى تستهلك الجيـل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداد هتاف على الجزاء آمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تظلماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتى ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فانت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من سراجك فردا واقتصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكنُ فقدك الضياءَ رديئاً فاقصادي للزر أردى وأزدي
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئتَ أحمدَ مستيحاً فلا يفررك من ظره الأنيقُ
لَهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبارقة تروق ولا تريق
ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبّع بأمِّ الدّواهي لدى المجمع
حلفت بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسِ بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودعته السرَّ فالفيتة أنم من كأسٍ على راح
وقال السري :

تنى عنك فاستشعرت هجراً خلالاً فيك لست لها براض
وانك كلما استودعت سرّاً أنم من النسيم على الرّياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهد الذي عهدت إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدّثينا
والكانون: الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بآبائك» .

وقدم رفاً تقدم بيت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتَ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَظَلٍ وَقَدْ دَنَسْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شئتَ غيري ومن ذا يقبل المدح الرَّدِيدَا

ولاسيا وقد أعلقت ^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم أخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالأهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحتري مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

ووجهٌ ضمان البشر فيه موقفٌ على النجح والحاجات تُتَرَى عِجَالُهَا

به من صفيح الهند وشمٌ تبينه صفيحةٌ وضح يروق جِمالُهَا

متى ربدتها عزّةٌ أو حفيظةٌ أعيد إليها بالسؤال صقَالُهَا

متى ترها يوماً عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالُهَا

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدعٌ كمرضة له قصةٌ غير الذي هو يظهر

يخبر عنه أنه أثر ضربة ببعض سيوف الزّنج حين يخبر

وما ضربته الزّنج في الوجه بل رأى أبورهم فانشق في وجهه حرٌ

في أبيات سخيفة فطلبه ابن المدبر أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقَّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنَّ قَتْلِي مُحَلَّلٌ لَكَ طَلْقٌ

فأعف عن عبدك المسمى ولا تبطل بما يستحو ما تستحق

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نعماك عندي التي أقرُّ بها انك أصبحت لي من الغير

وحبك الذم لا تنق بك ما أشبه خطم الخنزير بالقدر

أبديت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخرياتِ الآخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي) . (٢) في الأصل (أعبت) .

كالقطران الذى يرى أبداً فى رأسه ما لقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع ضيعاً . ومثل قول ابن الرومى قول الديلمى :
فى أوانِ الشبابِ عاجلنى الشيبُ وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالختار لا بتدال لفظه . وقلت فى بخيل :

قفَعَ البردُ ضيفَ عمرٍ وفأضحى مثلَ من فيهِ يأخى زمانه
بات للبرد فى طهارةٍ سوءٍ ومن الجوع والطوى فى بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرَّةٌ ولمولاهُ ذِلَّةٌ ومهانَه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى فى بيتِه أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً نجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوما
ثم ولى يقولُ وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضيعا
كان خداعةَ الضيوفِ ولكن ربما أصبح الخدوعُ خديعا
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً ففدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذ أتبحَ هجاءُ كيفَ لم يمتنع وكان منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها فى الأخلاق)

قال الأول فى ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومى سميكَ لايزيدُ ولا نزيد
يقودُ عصاةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهِك فى الولادة والتسمي ولكن لايجودُ كما تجود
ومثله : علىَّ وعبدُ اللهَ بينهما أبٌ وشتانَ ما بين الطبايع والفعل
ألم ترَ عبدَ الله بلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ علىَّ على البخل
ومثله : فإن يك بحرانا إلى جمع نسبة فى رأى والأخلاق مختلفان
ومأنت مثلى فى مقام أقومهُ لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر: لئن وصلتُ أئبوتنا انتساباً لقد قطعتُ مرارننا العقولُ
 أبوك أبي وأنت أخي ولـسكن تبانـت الطبائـمُ والشكولُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المكثفى بالله يوماً ما أهلك بيت
 من الشعر وأفجر قائلُ أتعرفونه؟ فقال يحيى بن على المنجم قول أبى نواس:
 ألا فاسقنى خراً وقل لى هى الخـرُ ولا تسقنى سرّاً إذا أمكن الجهرُ
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خراً، ولـسكن الحسين بن الضحاك
 الخليل قد قال ما هو أهلك من هذا قال وما هو؟ فأنشدته:

أتبتُ سُـكراً بـسـكر وابتعتُ خـمـراً بـقـمر
 فقال هذا لعمري أهلك من ذاك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت
 المهجو والمدوح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يجفيا.

خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سـيروا فـقد جن الظلام عليكم
 فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا إليه وهو كالريح خاطباً^(٣) فشدَّ على أكبـادنا بالعمائم
 ومالى من ذنبٍ إليه علمته سوى أننى قد جئته غير صائم
 فلولاً يدُ الفأروى عندى رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزدناها اعتماداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتييس طاعماً ».

فليتك من جرم بن زبآن أو بنى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
أناس إذا ما الضيف حل بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناءم
فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلم به أغنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفان
فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاه على خبزك مكتوب سيكفيكم الله
وقال بشار^(١) :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيف للجوع
آخر : نوالك دونه خراط القتاد وخبزك كالثريا في البعاد
ولو أبصرت ضيفاً في المنام حرمت المنام إلى التناد
أرى عمر الرغيف يطول جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
وما أهجوك أنك كف شعري ولكنى هجوتك للنكساد
وقال آخر : رأى الصيف مكتوباً فظن لبخله ونصحيفه ضيفاً فقام بوائبه
ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبداً وصحف الصيف ضيفاً فقام يلطم خده
وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثي محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا ألطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 ألطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظرفاً
 مزجه العذب بماء السبر كي يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضاً :
 على خبز إسماعيل واقة البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كهنقاء مغرب تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما ان تمر ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم يراوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزهُ الا كليب بن وائل ليالى يحمى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذا هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجدي ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلّ به الذي أصاب كليلاً لم يكن ذاك عن ذلّ
 واسكن قضاء ليس يسطاع رده بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهلهل
 * واستبَّ بعدك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق: الرغيف . (٣) في الديوان (مغرر أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من ننتها ثومةً لكنها في اللونِ أترجّه
 تفاوتت خلقتها فاغتدت لكلٍّ من عطل محتجّه^(١)
 كأنها والوشمُ في جلدها زرينخةً شيبت بلبلنجه
 خرّاجةً للفسق دخاله تعجبها الدخلة والخرجه
 كأنما فقمحتها خمسة فت عليها عابث ثلجه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجّه *

إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأُسقيتُ نعى تسربلتها كم حجةٍ فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحتَ فإذا اعتضتُ قلتُ لهم خرقَ النعالِ وإخلاقَ السراويل^(٢)
 ذاك الأمير الذي طالتْ علاوتهُ كأنه ناظرٌ في السيفِ بالطول

وكان جعفر طويل الوجه والقامة . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهموم على ثقب *

وقلت : سوداء يذرفُ دمعها مثلَ الاتونِ إذا وكفُ
 وكأنها من قبورها سلحُ العليلِ على الخرفِ

وقال أبو تمام :

فأشهدُ^(٣) ماجسرتَ علىَّ إلا وزيدُ الخليلِ دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به نديما فأنتَ نسيجٌ وحدك في القناعة
 ولو بدلتهُ وجهاً إذا لم أصلُّ به نهراً في جماعه

ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبدُ الله في السوقِ راكباً له حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ
 رعت له من جانب السوقِ مخرطة توهمت أن السوقَ منها سيفرقُ

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجّه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقدر به أنفأ وأقدر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره : أنتَ في البيتِ وعزيبك في البيتِ بطوفٌ

ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكك شبّهت أنيابها العلى خفافس سودا في صراة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لا فقرَ منى انى لفقيرٌ
فشبه أسنانها بالخفافس وسعة فيها بالقلب ، والصراة : الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنيّة على امرأة فقبل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
نديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاقل ديكاً .

ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتمخط والبخر قول ابن الرومي :

تحسبُ مزكوماً وان لم تنزككم من سدة في أنفك المورم
محشرج الصدرير طلى بلغم إن لم تنزع مرة تنخم
نخامة كالضفدع الموشم دكناء رقطاء بقيق أودم
ممتخطاً بالكوع أو بالمعصم تضرط من أنف وتفسو من فم
ذانكهة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملاء أرحم ترحم
وقال جحظة^(١) في البخر :

تنفس في وجهي فكدت أموتُ وأعرض عني جانباً فحييتُ
ونسى ؟ حتى حسبتُ بأننى وربكما يا صاحبي خريتُ
وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كأن بني را الان إذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهم سويقٌ

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بمجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فدوهاً شوهاً لها شعرة^١ كأنها خمل^٢ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر دينتف :

وَخَدُهُ مُشَوِّكٌ مَزْوَرٌ التلويز
وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٌ مُشْتَرِقُ الْإَفْرِيزِ^(١)
وَقُلْتُ : لَعَبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّراً مُتَعَصِّفِ
وَكَاثِمًا صَدَغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ
كأنه فرينة^٢ كثيرة الشونيز
تحسبه إذا بدا ساحة النوروز
لعب الصبا بالرَّبع حتى أقفرا
ينتابه^(٢) الحدَّانِ حتى أنكرا
ثم اغتدى متصنلاً متزعفرا
جعلان ينتابان سلحاً أصفرا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَبِيبَةُ النَّبِكَ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ
فَتَلَقَّ مِنِّي^(٢) حَيْثُ شِئْتُ وَكَبِرَ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مَقَابِلٍ وَمَدَائِرِ
مِثْلَ الطَّرِيقِ لِلْمَقْبِلِ أَوْ مَدِيرِ^(٤)
كَأَجِيرِ الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ
مُتَنَازِعِينَ فِي فُلُجِ صُنُوبِرِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعِهِ
وَأَمْرَأَةً قَاعِدَةً مَرْبَعَةً
لَهَا بِظُورٍ فِي اسْتِهَا مَجْمَعِهِ
كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مَقْقَعُهُ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَاتَ بَابِ النِّجَاحِ إِذْ نَعَاطِيَّتُهُ^(٥) بِلَا مِفْتَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنْكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّابِحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمة من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل نعاطيته) .

فقطع الحب بالخصي كما يقطع المردى بالملاح
 ليت شعري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجهه قد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كونيم الذئباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح فمهلاً ماغناء الفقاح في الأفرح
 إن من يعشق النساء بلا أبيض كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطعان إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سبالة بعد أن أطاله:

حلفت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذاك السبال فقد كان سترًا على مستراح

وقال ابن السكن:

رجل يعق الكأس كل عشية ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصفه
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف

وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدت فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا
 وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الرقيق إذا قبلت صحت التقييل تقيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الأصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقيلاً
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كملتْ بالبطر تكملاً
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البطرِ تفضيلاً
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أمارتْ بظرها الفيلاً
 غول بيت الشرب من قبعتها يرونَ في النوم التهاويلاً
 ما أحسنَ الأرقم طوقاً لها وأحسنَ الأسود كليلاً
 قد عَذَّبَ اللهُ أمراً نالها طورينِ تعجيلاً وتأجيلاً
 لها ضراطٌ ريمه عاصفٌ يطفئ في الليل القناديلاً
 حلت سراويلي على واسع ما خلته إلا سراويلاً
 أحللت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيل تنكيلاً
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلاً
 يابسة العود وقد ذلتْ قطوفها للنيل تذليلاً
 وهي طويلة عجبية ليس لأحد في ملاحظتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرّق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوالق
 وقال الآخر : ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الدينج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحية قاضي القضاة لوجهدت مجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد السكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقته
 وقال رقة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .
 وقلت : قل للمدلّ بلحية موفورة وسما ولحية كلّ الحى جهله
 لا يمجبنك طول نبذك إنّ من طال لحيته تكوسج عقله
 وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيةً عليك وتعرض	فالحالى معروفةٌ للحمير
علق الله في عذاريك مخلا	ة ولكنها بغير شمير
لو غدا حكمها على لطارت	في مهبّ الرياح كلّ مطير
ارع منها موسى فانك منها	شهد الله في أنام كبير
أيمّا كوسج رآها فيلقى	ربّه بعدها صحيح الضمير
هو أخرى بأن يشكّ ويفرى	باتهام الحكيم في التقدير
ما تلقاك كوسج قطّ إلا	جور الله أيمّا تجوير
لحية أهملت فطالت وفاضت	فاليها تشير كف المشير
مارأتها عين امرئ مارأتها	قطّ إلا أهلّ بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها	من رأى وجه منكر ونكير
فاتق الله ذا الجلال وغير	منكرّا منك ممكن التغيير
أوقفصر منها فحسبك منها	قيد شبر علامة التذكير
لو رآها النبي يوماً لأن	في لحي الناس سنة التقصير
واستحبّ الأحفاء فيهنّ والخلق	مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا السَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ الْإِجْيِ »^(١) .
 وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةُ البعضِ من البعضِ
 مضى الى السوق وعُثْنُونَهُ أَقَامَ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَمُضْ
 وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يَمْلَأُهَا بِالطَّيْلِ وَالْعَرَضِ
 يَدُوسُهَا النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَرْضٌ عَلَى الْأَرْضِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجمار كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
 تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
 القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيته فقال إني سأخرجها
 من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حقه
 قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
 وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طويلةٌ له شطرٌ طولها
 فهو الدهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لتركت التشنيع المفلوظ من
 المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
 كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
 إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :
 إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
 كشف الخفا . (٢) ونسب للكنية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
 ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من
 أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبطية متأزراً فقل جمل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
وقال غيره: ألا يا بندق الشطرنج في القيمة والقامه
وقال آخر: يكثر الناس في الطريق من دمامته؟
وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام^٢
وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
وقال: وعازب الرأي ضعيف مغرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غم الأضاحي إذا قاموا حسبتهم قعودا
وفي غير هذا المعنى قول الآخر:
إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل خفم
وقال ابن الرومي في القبح والسواد:
وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالسرة
كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر
وقال ابن طباطبا في مجدور:

ذو جُدَرِيٍّ وجهه يحكيه جلد السمكه
أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشتبكه
أ. سفر محبب أو كرش منفركة
أو منقار أو عرض رقعته منهكه
أو حجر الحماء كم من وسخ قد دلكه
أو كور زنبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبكه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
ييفضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جَدَرِيٌّ ما شأنها وهي شينٌ كلُّ أثر في ذلك الوجهِ نقشٌ
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
شعره تجدّد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابهِ عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعمامتين حراوين فامتحنهما

فوجدتهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ يباب الدّأر أسودَينِ دَوَى عمامتينِ حمراً أوينِ

كجمرتين فوق فخمين قد غادر الرّوض قبر العين

جدّه كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين

ياقبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين

ما أتما إلا غراباً بئين طيرا فقد وقعما

ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين

وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين

ستمطيان في مدى عامين صكاً بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم ^(١) بما ساده وساء كرتك الخاسرة .
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أثوابك بالساهرة .
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذنت بالآخره .
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحى أسد القاهره .
 أبارك المكروه من مثله فاقرة فنجت من فاقره .
 وقال فيه : وتصور القبر الذى ضمتته ^(٢) حتى ظننا أنه المقبور
 فأنجح لأبى تمام مغلد الموصلى فهجاء بعد موته فقال :

سقى حمارك بإطائي غادته من المنى وقطعان من الكمر
 حر الحلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر
 وما قيل فى البرد أيضاً قول بعضهم فى المبرد :

ويوم كنار الشوق فى القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد ^(٣)
 ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت فى ألفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل يتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل فى برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روجى ضرب الله شقه بغنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جراك على السبع
 وحررك العود بأطرافه فكان يحتاج الى الصنع
 فقتت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع
 وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختل الدين
 مارآه أحد فى دار قوم مرتين
 صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) فى ديوان أبى تمام (على البخل) . (٢) فى الديوان (الذى أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناءً لا خلاقَ به
 حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
 وكلما انخفضت فيه مزمنة
 لا تحد عنه بأبواب مصبغة
 كما تمرّك آذان السنابير
 أهدت لسمعي تهدير الخنازير
 خلت الزناير تشدو في القوارير
 نصبتن شراكاً للمداير
 وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقتها
 وقال الناجم : وقية شتمها قنوت
 مفقودة الكل غير بطن
 وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى
 يلوك لسانه طوراً وطوراً
 وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة
 ماعجي منه ولكنني
 وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
 ككيسان يكتب غير الذي
 فيكتب غير الذي قاله
 فصمتاً إذا شئت اطربنا
 ولا ماسي ؟ إذا جئتنني
 وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه
 جعلنا اللطام له الحمة
 كل عرقٍ مثل يدت الأرضه
 أحسن أصواتها السكوت
 مثقل فهي عنكبوت
 يحاكي عاطساً في عين شمس
 كأن بضرسه ضربان ضرس
 دجاجة يخفقها ثعلب
 من الذي يعجبه أعجب
 ويضرب غير الذي نحسب
 يقول المحدث والمكتب
 ويقرأ غير الذي يكتب
 فنحن إذا قلت لا نظرب
 فاني إذا جئتنني أذهب
 عائم تنزع جلد القفا
 وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
 يازهرة ومحاسناً مسخت
 قد كانت الأبصار تجرحه
 قلت الزمان يريكم العبرا
 ماذا لحاه الشعر لو شعرا
 واليوم يجرحها إذا حصرا

وقال سعيد بن حميد :

فَلَا تَحِينَ حِينَ بَدَتْ بِجَدِّكَ لَحِيَةً ذهبت بملحك ملء كف القابض

وقال ابن طباطبا : يا من يزيل خلقه الر من عما خلقت

تب وخف الله على كفك مما اجتاحت

هل لك عنده إذا الوحوش حشرت

بلحية ان سُئِلَتْ بأيّ ذنب تنفت

وقلت : حصلت في سى ذا غلظة كأننى مشطُ ابن منصور

يا لحيّة هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخذه من سح ؟ تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالمسك في لونه وتارة في لون كافور

يمجبه المرد فيحكيمهم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن ربّ الورى إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدو شواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

يا ويحهم من لحي جدّت منافسهم فيهنّ أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيذك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به إذا وقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه فريما استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه * والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعريه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختم^(١) جاثماً متحيراً^(٢) بمكانه ملء اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى المجسِّةِ بالعبيرِ مقرمد
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزَّورَ بالرشاءِ المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودتُ عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كمن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يمتنر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيَّةً وليس وراءَ الله للمرءَ مذهُبُ
لئنُ كنتَ قد بُلغتَ عنى خيَّانةً لمبلفُك الواشى أغشُ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لائلهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ
وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهه أنا في ودوني راكسٌ فالضواجع^(٣)

(١) في الاصل «أجتم» . (٢) في الاصل (متحيراً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاورَتْنِي ضَئِيلَةٌ ۖ مِنْ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ إِنَّكَ لَمَتْنِي ۖ وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ
إِلَى أَنْ قَالَ :

فَإِنْ كُنْتَ لِأَذْوَالِ الضُّغْنِ غَنًى مَكْذَبٌ ۖ وَلَا حَافِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ
وَلَا أَنَا مَأْمُومٌ ۖ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ ۖ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا مُحَالَةَ ۖ وَاقِعٌ
فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي ۖ وَإِنْ خَلْتُ أَنْ أَلْتَمَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَقَالَ : أَنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْ عَدَنِي ۖ وَلَا قَرَارٌ ^(١) عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ
مَهْلًا ۖ فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ ۖ وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
لَا تَقْذِفْنِي بَرَكْنَ لَا كِفَاءَ لَهُ ۖ وَإِنْ تَأْتَعَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ ^(٢)
مَا قَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ ۖ مِمَّا أَنْبِئْتُ بِهِ ۖ إِذَا فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
هَا ۖ إِنَّ ذِي عُدْرَةٍ إِلَّا تَكُنْ نَفْعَتْ ۖ فَأَنْ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ ^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرقة بالجواهر، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثله
وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليل نحيبها * واعتذاراته في قصائده
إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثله ، وقصيدته في دينار التي
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
أولها * لوت بالسلام بنانا خضيبا * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافى ،
والرفد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النسكد) .

فدَّيْنَاكَ مِنْ أَيْ^١ خُطْبِ عِرا
وَإِنْ كَانَ رَأْيُكَ قَدْ حَالَ فِي^٢
يُرِيدُنِي الشَّيْءَ تَأْتِي بِهِ
وَإِكْرَهُ أَنْ أَتِمَادِي عَلَى
أَكْذَبِ نَفْسِي بَأَنْ قَدْ جَنَيْتَ^(٣)
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ
أَيُصْبِحُ وَرَدَى فِي سَاحَتِكَ
وَمَا كَانَ سَخَطُكَ إِلَّا الْفِرَاقُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَّا
سَاصَبُ^٤ حَتَّى أَلَاقِي رِضَاكَ
أُرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ
وَقَوْلُهُ : عَذِيرِي مِنَ الْإِيَّامِ رَفَقَنَ مِشْرِبِي
وَإِكْسَبْنِي سَخَطَ امْرِئٍ بَتُّ^٥ مُوَهَّنًا
تَبْلُجُ عَنْ بَعْضِ الرِّضَا وَانْطَوَى عَلَى
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهَا
وَأُصِيدُ أَنْ نَارَ عَتَمَتِهِ الْطَرَفُ^(٦) رَدَّهْ
ثَنَاءَ الْعَدَى عَنِّي فَأُصْبِحُ مَعْرُضًا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا فَتَوَعَّرْتُ
أَمْتَحِذُ^٧ عِنْدِي الْإِسَاءَةَ مُحْسِنًا
وَمَكْتَسِبًا^٨ فِي الْمَلَامَةِ مَاجِدًا
يَخُوفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعِشَرًا^٩

وَنَائِبَةً أَوْشَكَتْ أَنْ تَنْوَبَا
فَلَقَيْتَنِي^(١٠) بَعْدَ بَشَرٍ قَطُوبَا
وَأَكْبَرُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيحَا
سَبِيلَ اغْتِرَارٍ فَالْتَقَى شَعُوبَا
وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
أَذْمُ^{١١} الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخَطُوبَا
طَرَقًا وَمِرْعَايَ مُحَلًّا جَدِيدَا
أَفَاضَ الدُّمُوعَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
تَخَالَجَنِي الشُّكُّ فِي أَنْ أَتُوبَا
إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا
وَأَنْظُرُ عَظْفَكَ حَتَّى يَشُوبَا
وَلَقَيْتَنِي نَحْسًا مِنَ الطَّيْرِ أَشْمَا
أَرَى سَخَطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا
بَقِيَّةَ عَتَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمَا
تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا وَتَلَوَّمَا
كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتَهُ الْقَوْلَ جَمْعِمَا
وَأَوْهَمَهُ الْوَاشُونَ حَتَّى تَوْهَمَا
رُبَاهُ وَطَلَقًا ضَاحِكًا فَتَجْعَمَا
وَمَنْتَقِمًا^{١٢} مِنْ أَمْرٍ كَانَ مِنْعَمًا
يَرَى الْحَمْدَ غَنَمًا وَالْمَلَاةَ مَغْرَمًا
وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلَمَا

(١) فِي الْأَصْلِ (فَأُولَيْتَنِي) (٢) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (أَكْذَبَ ظَنِّي بَأَنْ قَدْ سَخَطْتَ) .

(٣) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (نَازَعْتَهُ اللَّحْظَ) .

أعينك أن أخشاك من غير حادث تبين أو جرم اليك تقدما
أست الموالى فيك نظم^(١) قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل أنجما
أعد نظراً فيما تسخط هل ترى مقالاً دينياً أو فعلاً مذمماً
رأيت العراق ناكرتنى وأقسمت على صروف الدهر أن أنشأما
وكان رجائي أن أووب مملكا فصار رجائي أن أووب مسلماً
حياء فلم يذهب بي الغي مذهباً بعيداً ولم أركب من الامر معظماً
ولم اعرف الذنب الذى سؤتنى له فأقتل نفسى حسرة وتندما
ولو كان ما خبرته أو ظننته لا كان غرواً أن ألوم وتكرما
أذكر العهد الذى ليس سؤدداً تناسيه والود الصريح المسلما
وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً وأنجد في أعلى البلاد وأنهما
أقر بما لم أجنه متنصلاً اليك على أنى أخالك ألوما
لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً به فلك العتي على وأنما
ومثلك من أبدي الفعال أعادة وان صنع المعروف زاد ونما
ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتى
اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط
فتفضل على بالقبول لئلا يلحقني هجتان هجنة تذلى لك وأخرى ردك لى . وقد
قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبباً أو كده .
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل:
ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال انى لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا أنى لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف ، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن
ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحمله من لدى والعرب تقول ان
مع الهيثمة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لِأَنِّي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْ عَدَّ وَلَا أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا

ولكن رأيتُ السيفَ في حالِ سَلِهِ إلى الهزِّ محتاجاً وإن كان ماضياً

ومن مליح ما يجرى فى هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذ بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتنى فبسوءِ فعلى وما ظلمت عقوبةً مستفيدٍ

وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكر جديدٍ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك
فى نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش فى ضمان الفرح ويؤى حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العبيّ ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة و اظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فانه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاءً لناظرك وشجداً لناظرك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبّه وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عيناكِ إلا لتضربي بسهميكِ في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيتِ إلا لتجرحي قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميكِ يعنى عينيها ، والمقتل
المذل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعامنا
ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيّان ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إني مُشتفٍ بلقائها فخم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرفُ عنها حين أبصرها حتى يعودَ إليها القلبُ مُشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولأعرف في معناه أبلغ منه :
 أعانقها والنفسُ بعدَ مَشْوَقَةٍ إليها وهلْ بعدَ العناقِ تدانى
 وألثمَ فاها كي تموتَ حزازي فيشتدُّ ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفُ الشفتان
 فانَّ فؤادي ليس بشفي ريسه سوى أن ترى الروحان تمتازان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبَّتْ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ
 وقبَّلَ الرِّيحَ من صبابته ما قبَّلَ الرِّيحَ قبله أحدُ
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال اني أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا قلقك ، أخذه بشار فقال :
 إني لا أكرم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 ويبيت بين جوانحي وجدُّ بها لو بات تحت فراشها لا قلقها
 وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفردَ بالتمام فلا تمامُ
 فلو ألقىته ما بين ماءٍ ونارٍ كان بينهما التثامُ
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سالة نورٍ ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواءُ يجمعها هوى كأنَّ نفوس الناس في حُبِّه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامُهُ بأذنى وإنْ غُيبتُ قرطاً معلقاً
ومن ظريف التشبُّب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبتْ يامن لحاني في مودِّته ما صورة البدر الأذونُ صورته
ياربُّ ان لم يكنْ في وصله طمَعٌ ولم يكنْ فرَجٌ من طولِ جفونته
فاشف السقامَ الذى فى لحظ مُقلته واستر مَلاحَةً خَدَّيه بلحيته
ومن الظريف قول كشاجم :

كأنَّ الشفاءَ للعسَّ منها خواتمٌ من النبرِ مخنومٌ هنَّ على الدرِّ
ولأعرف في وصف الغنم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدى :
إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا ^(١)
أليس يزبن ^(٢) العيسَ خفةً أذرع وان كنَّ حسرى ان تكون اماميا
وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإنْ هى خُلِّيتْ لترتفع لم ترتفع بأذنى المراتع
كأنَّ لديها سائفاً يستحذها كفى سائفاً بالشوق بين الأضالع
ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم وليس ينساكم أب حلَّ أوسارا
يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهبُ فى أحشائه نارا
ومن ظرف الاعرابي قوله أنشد المبرد :

وعود قليل الذنب عاودتُ ضربه إذا عادَ قلبي فى معاهدها ذكرُ
وقلتُ له ولقاءُ ويحك سببتُ لك الضربَ فاصبر إنَّ عادتك الصبر
ونحوه قول الآخر :

قد قطعَ الاحراجَ أغناق الابل فهى تسيرُ سيرَ مُشتاقٍ عَجِلْ

(١) فى الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) فى الاصل « يزبن » وفى الاغانى (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألغز :

إنَّ لها لسائقاً خَدَجاً لم يُدَلِّجَ الليلةَ فيمن أدلجا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتلُ شوقها زيارتي كلما يقتل بردهُ عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكُّر على البعد فقول بعضهم :

اذكراُخانا تولى اللهُ صحبتهُ انى وان كنتُ لألقاهُ ألقاهُ
اللهُ يعلمُ أنى لستُ أذكركه وكيف يذكركه من ليسَ ينسَاهُ
وقلتُ : ذكرُهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كانَ عاصانى
بل كيف أذكركه عداً لستُ ناسيهُ هل يعرضُ الذِّكْرُ إلا بعدَ نسيانِ
ونحوه يقول البسري :

غضبان ينسانى وأذكركه وينامُ عن ليلى وأسهره
وبجوده ماضٍ موركه حظى وحظَّ سواى مشره
وكفى الهوى لو كانَ مكتفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين أنسى إلا وحظى منه أوفره
فأصبح فى نفس أصعده وأعوم فى دمع أجده
ومن مليح ذلك قول بشار :

ولستُ بذاس من يكون كلامه بأذنى وان غيبت قرطاً معلقاً
أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :
سموت إليها بعداً مانام أهيا سمو حباب الماء حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمى^(١) :
واسقط علينا كسقوط الندى ليللةً لانهٍ ولا زاجرُ

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب
فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالتُ ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني وائبٌ ظافرٌ
قالتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ عادَ به قلتُ فسيني مُرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعيتنا فأت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانهٍ ولا زاجرُ

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعتكِرُ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمرُ
هل لك في غادةٍ مُنعمَةٍ يحار فيها من حسنِها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فعمت أسمى إلى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلت لما بدا تخفها جودى ولا يمنعك الخفرُ
قالت توقروا ودع مقالكاذا أنت امرؤٌ بالقبيحِ مشتهرُ
والله لا نلت ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شَعَرُ
لا أنت لى قيمٌ فتخبرنى ولا أميرٌ على مؤتمرُ
قلت ولكن ضيفٌ أتاك به تحت الظلام القضاء والقدرُ
فاحتسبي الأجرَ في إلهه وباشرى قد تناول العسرُ
قالت فقد جئت تبغى عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيته حرجت وغشيتها الهموم والفكر
لاعاقب الله في الصبا أبداً أني ولكن يعاقب الذَّكر
قالت لقد جئتنا بمتدع وقد أتتنا بغيره التذُّر
قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
قلت دعي سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأنى لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
هاتين المقتطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنهما بعوذة من سوء ^(١) أفعالها
وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يعدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها ^(٢)
دائمة الأعراض غنى فما يخطر لي ذكره على بالها
صغيرة عظمها حُبها عندى وأغراني بأجلالها
تستدفع الأعين عن حسنهما بعوذة من سوء أفعالها
لم أطعم العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
تمضى بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس بأقبالها
قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها لاحترقت من نار خلخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبس خلخال كذب أسماء الخلاخل

يقول لا تخلخل الخلاخل في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبت أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبج) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَّ الشمسَ نيط بها قمرٌ يمناهُ والقدرُ
صدَّ إذ مازحتهُ غضباً ما على الأحابِ إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أننا في النوم نصطلح
ثمَّ لا أنسى مقاته « أطفيلٌ » ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلت ودَّه وما ضرَّني بخلُّه فكيف أجودُ
وقالوا أنسب بيت قائله العرب قول الآخر :

سبقى لها في مُضمرِ القلبِ والحشا سريرةٌ ودَّ يومَ تبلى السرائرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرَّجتُ غداةَ النحرِ أعترض الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ
فوالله ما أدري أحسنًا رزقه أم الحبُّ يعمى مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءَ يَعْمَى وَيَصْمُ (١) » وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألتُ جاريتها وتعرَّتْ يومَ حرٍّ تبتدرُ
أكلما ينعتني تبصرنني عمر كنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
حسدًا حملتهُ من أجابها وقديماً كان في الناسِ الحسدُ

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفت بصحراء الخجون وناقني لها بين قاعِ الأخشين حنينُ
غموساً لقد فصلت في الحسدِ بطة على الناسِ أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لا فراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ لله في عيني وفي كلِّ العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقمِ العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قول حقٍّ ويقين
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يَلمُ عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى تصيرَ ملكَ يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَا إِذَا اجْتَلَاهُنَّ قَيْظَ لَيْلِهِ وَمَد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بِدَا حَاجِبُهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِهَا (١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قَنَاعِهَا بِدَا حَاجِبُهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِهَا
وهو أحسن ما قيل في إغراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا وَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ
فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحَسَنِ أَوْ كَدْنُوَّهَا لَغُروبِ

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضننت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليللة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) المدو لها فقير حالها

وسعى إلى بعب^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٥) محدودهن نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تباهن بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لتيمن يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرّداء المحبر

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

* كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتبه الشمس والقمر المنير اذا قلنا كأنهما الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تسمى وأنّ البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضح الطريقة لايجور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موقف) . (٦) في الاغانى « أشرق » .

يأبدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح
وأراك تمصح في الحاق وحسناها باق على الأيام ليس بماصح
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت إن الذي قد أسمى بالبيد قد ظلما
البدر ليس له عين مكحلة ولا محاسن لفظ يبعث السقما
وقال النظام : يا مشرقاً ملأ العيو ن وطرفها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى حتى كأن الليل ظل

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدتُه نظرا

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تغنى فهو مقترح
والمعارضة تمخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبُهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يُستقبح الشيء المعاد

وقال الخافي :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعاود

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ مُحسنًا فما أتمم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبيد عن الأصبغى قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

باتَ يعنى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الرِّيحانِ رَيَّانٍ أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشربَ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر

يمرُّ فأمْنَحُهُ ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العينُ في نفسه فما جفلت بطولِ القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدلَّ في أنوابه غصنا ويطلع الحسنُ من أزواره قمر

وقال ابن الرومي : متعات وجهك في بديهيها جددٌ وفي أعقابها آخرُ

وقوله : مخففة منقطة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغياب جددَ حسن شيءٍ من الأشياء جددَها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعينُ منه اليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أظرف أبو نواس في قوله :

إنَّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خدّ أسيل ومنطقٍ رخيم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبشمي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفراري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجئني وإياهم مرع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن ميا منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زدار عليها ميا فقلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلو فعرف النساء ذا الرمة فقمن إلى بيت ميا وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا ميا جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
واذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
نشدهن يا عصمة فأنشدهن قوله :

نظرتُ الى أظمان ميا كأنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان^(٤) والصدركانم بمغر ورقٍ نمت عليه سواكه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض
ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والاثمالي وغيرهما .
(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق ^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامى ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مبي سوارح^ه عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتلتها قتلك الله فقالت مى ما أصحبه وهنيئلاً فتنفس ذوارمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذى أقول بها إلا الذى أنا كاذبه
 اذا فرمانى الله من حيث لأرى ولا زال فى أرضى عدو أحرابه
 فقالت الظريفة قتلتها قتلك الله فقالت مى خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك ^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضال الدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق ^(٣) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لساناً فقمى بنا فقمى وقمت معهن فجلست فى
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدرى ما قال لها وما كذبتة ، فلبث
 قليلاً ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحبنا به مى وهذه قلائد
 للجؤذر ولوالله لأقلدن بغيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتانى فقال يا عصمة قدرحت مى ولم
 يبق إلا الآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر فى ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحى
 أتينا منزلها فوقف بنظر ثم قال :

ألا فاسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهالاً بجرعائك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان منى ماترى .

ذى الرمة « فأبدت من عبنى » وفي المصارع والامالى (فأسبلت العينان والقلب
 كاتم) . (١) فى ديوان ذى الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .
 (٢) فى الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) فى الامالى « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا

وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبي ناره وما شمر دبت إليه عقرّب وقت السحر

دبت إلى ظلي بعينيهِ حورٌ ديبَ لوطي نواري وانتشر

فظفرت لاظفرت أي ظفر وهكذا العقرّب للقمر

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي

قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إنَّ العيونَ التي في طرفيَا حورٍ قتلنا ثمَّ لم يُحيينَا قتلانا

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك بهِ وهنَّ أضعفُ خلقَ الله أركاناً

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينانِ قال الله كونا فسكنا فقولان بالآبَابِ ما تفعلُ الحُرَّ

وقال آخر بل قوله :

بذكري ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور

(و مراراً) حشوا لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع^(١) :

و كأنها بينَ النساءِ أطارها عينيه أحورٌ من جاذرِ جاسم

وسنان أقصدهُ النعاسُ فرفقتُ في عينه سنّةٌ وليس بناثم

أخذ بعض المحدثين قول جرير : وهنَّ أضعفُ خلقَ الله أركاناً فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوينَ على ضعفِ القوى

ومثله أيضاً قول الناشي . :

لا شيءَ أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني

أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعدُّ في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لأن متين السيف والحدّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثم اثنت عنه فكادَ يهيم

وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرن من خلل السجوف كأنما يطرّ أحشاء الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك الحاجر في المعاجر

أمضى وأنفذ في القلوب من الحناجر في الحناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدّياجي شقائق وجنة سقيت مداما

إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهاما

وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

يبتى جرير * أن العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة

بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنيبدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تقى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

فحن ثعلب استحسنّاها وقال اكتبوها ولو بالحناجر على الحناجر - كما في هامش الأصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذكر^{هـ}
تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سئبت ريامن النوم تسهر^{هـ}
وقلت : راحت تيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدري بين كواكب شهب^{هـ}
فلأت^{هـ} طرفي من محاسنها ونسيت^{هـ} ما يجنى على الصب^{هـ}
عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{هـ}
فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{هـ}
وغدا قتم^{هـ} عليه عسده^{هـ} ؟ أثر من التقبيل في شفنيه^{هـ}
وسقام عين لم تذق طعم الكرى بدعو العوائد في الصباح اليه^{هـ}
وقلت : إذا ما جاءني الأخذ^{هـ} غنى تشاغل^{هـ} طرفه بالأخذ مني

وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{هـ} من النار وينشأ من سقم عينيك سقمي^{هـ}
وقلت : يسمى إلى^{هـ} مقرطق^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كاسان^{هـ}
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^{هـ} --- ضيه وقفاً والسحر في أجفانه^{هـ}
لا أطعت^{هـ} العذول فيه وإن أس^{هـ} --- رف في ظله وفي عدوانه^{هـ}
فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{هـ} ماتريانه^{هـ}
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون^{هـ}
وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^{هـ} شبيه^{هـ} بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بجدها^{هـ}

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب السكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه برد تهدر من ممتون غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكمة برداً أسف لثاته بالائمسد
 كالأقوحن غداة غب سنامه جفت أعالیه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 بفلسجن الشفاء عن اقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحتري :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامي الدر منا ولاقطه
 فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصي المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحتري أيضاً :
 ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نقره عند سرده كالغراب المزرد
 مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .
 (٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشتيناً يغضُّ من لؤلؤ النظر — م ويرى على شتيت الأفاحي
 فأضاءت تحت الدُّجبة للشر ب وكادت تضيئُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بالحال ظِ مرض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا منهم قبل الراح
 وتدبر^(١) الجفون من عدم الألباب مالا يدور في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيقُ
 دها في منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس يالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موق تجمع فيه لؤلؤ ورقيق
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفوهاً عذاباً كأنها يناعيمُ خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما نعتريها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ
 كذلك أنفاسُ الرياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيرُ
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى يمجُّه بين ثناياكا
 يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :

سقته ابنة العمرى من خمر عينها ووجنتها كأساً يميّت ويدنفُ

فقال امزجها بالرُّضابِ لعلهُ يسكنُ من خمر الهوى ويخففُ
فصدتُ ملياً ثم جادتُ بريقةٍ يزيدُ بها سكرُ الحبِّ ويضعفُ
فراح بضغفي سكره من مزاجها وقد يسأل العدل الولاة فيسعف
فهل من مزاج زاد في سكرِ شارِبٍ سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مَزَجْتَ خمرة عينها بريقتها كما تكفكفُ غنى من حمياها
فاشدتُ إسكارها إيايَ إذ مُزِجَتِ ومزَجْتُك الكأس ينهى عنك طفياها
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمتروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :
وقهوة كوكبها يُزهرُ ينفحُ منها المسكُ والعنبرُ
وردية لمحدها ؟ كأنها من خدِّه تُعصرُ
مهفف لم يبتسم ضاحكا مذ كانَ إلا كنبئذ الجوهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :
البدُر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فها مسكٌ ومشولةٌ صرفٌ ومنظومٌ من الدرِّ
فالمسكُ للنكهة والخمرُ للـ يقة واللؤلؤ للثغر
جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمتُ أم نظمَ العقدُ من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :
وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه جامد في خمره برد
 وقال : قلت للكأس وهو يكرع منها ذقت منه والله أطيب منك
 وقال : يا امرئ إن أنكرتني فلنكم ليل رأيتك معي كواكب
 بأبي حبيب كنت أعهد لي واصلاً فازور جانبه
 عبق الكلام بمسكة نفحت من فيه ترضى من يعاتبه
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقة فتعلم أنه يحني غدوبته يمر بغرها
 وهو من قول بشار :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر إلا شهادة أطراف المساويك
 وقول بشار من قول قيس :

كان على أنوابها الخمر بماء الندى من آخر الليل غابق
 وما ذقت له إلا بعيني تفرساً كما شيم من أعلى السحابة بارق
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج خليق الثنايا بالعدوبة والبرد
 وقال ابن الرومي :

بدا لي وميض مؤذن أن صوبه عريض وما عندي سوى ذلك مخبر
 وما ذقت له إلا لشيم ابتسامها فكم مخبر يبيده للعين منظر
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كان على أنيابها مبيت الكرى وقبعه يردى تهلل في تعب؟
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت وقلب وما أنباك أشعر من قلب
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحب له قبل المذاق بأنه عذب
 كشهادة لله خالصة قبل أليمان بأنه رب
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره والليل يرخي الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بديره
 قد مات الرقة في شطره ومات الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثغره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثغره
 فن عذير الصب من صده ومن يجير القلب من هجره
 ياليتيه يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يَبْذَنُ من قولٍ يَصْبِنُ به مواقعَ الماءِ من ذى الغلةِ الصادى
 وقد أحسن القائل :

هى الدُّرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدُّرُّ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبداً أحرار القلوبِ بذُليها وتَمَلُّاً عَيْنَ الناظرِ المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هوك سوى المتى علىَّ وما أنفأك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :
 وحديثها السحرُ الحلال لوانه لم يجن قتيل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يُملل وإن هى أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) فى الأملالى (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت مآربي فكأنَّ أطيها خبيث
إلا الحديثَ فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقدُ ريا بتُ أرويه للرجال وتروى
وحديث الرجال روضة أنس باتَ يرعاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيءُ بها البيتُ القليلُ خصاصه إذا هي ليلاً حاواتُ أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعرشي :

كانَ مشيتها من بيتِ جارِتها مرُّ السحابة لارِثٌ ولا عجل
قال قد جمعها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الاسلم^(١) :

وبكرٍ مُهما جاراتها فيزُرُنها وتعلُّ عن إتيانهنَّ فتمتذر
أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة^(٢) :

أني رأيتك في نومٍ تعانقني كما تعانقُ لأمُ الكاتبِ الألفا
وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال
الألف لاتعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقتُ ريحانةً تنفستُ في ليلها الباردِ
فلو ترانا في قميص الدُّجى حسبتنا من جسدٍ واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً
عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عقدان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قطعنها وطوالها بالقاصراتِ قصارُ
أخلو النهار على النهار واني والشمسُ لي دونَ الشعارِ شعار
خدا^ه وَرَدَّ^ه والنواظرُ نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرصابُ عُقار
حتى اذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا مُدونَ الازارِ من العناقِ إزار
فعلى النحورِ من النحورِ قلادة^ه وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفتُ الى الصبِّ---ح لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام وإزارٍ من^ه عناق

وأنشد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتدٍ صاحبه^ه كارتداءِ السيف في يوم الوغى

بحدودِ شافياتٍ من جوى وشفاءٍ مُروياتٍ من ظما

نتساقى الريقَ فيما بيننا زَا امات القطا زغب القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعرشي :

فأنضيت منها الى جنّةٍ تدلّتْ على^ه عناقيدُها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحبُ من قيام فرعها ونقيب^ه فيه وهو جثل^ه (١) أسحم

وكانها فيه نهار^ه ساطع^ه وكانه إيل^ه عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالى «وحف^ه أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والمعدو المحنق
فكأننى وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول فى سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها (١) مصبوعة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت (٢) فى حملها ففرائبُ الوردِ الجنى ثمارها
طالت لىالى الحب بعد فراقها وأحبهن الى الحب قصارها
ولرب ليلايت بهن تفرجت أسدانها وتأرجت أسحارها
ماكان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها (٣) وبهجة زهرها
لم تبل عينك أيضاً فى أسود جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وقال أبو تمام :

يضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أوجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة اذا مانأت عنك أحماله
فهل أنت بالك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صب وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الخنادس إدباره ويبدى لك الصبح اقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قل اجماله
وقلت : رخيتم فاطر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) فى ديوان السرى (جباها). (٢) فى الديوان (أغربت). (٣) فى الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَّ بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بضفائره
ويكأتم الامرار حتى إنه ليصونها من أن تتمر بخاطره
لاتعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بضفائره * من قول أبي نواس :
باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
نعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرده ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت ^(٣) وفقاً
وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكى ظلمة الليل فوق ضوء الصباح
وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الانام فيه رياض ومياه السرور فيه غار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس
(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
 ففيه ظلام بالصباح معمم
 يروق سليمي منك جعد مسلسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصدغ والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجنح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكأنَّ عقربَ صدغه وقفت
 وقوله : غلالة خدّه وردّه جنى
 وقلت : وكأنَّ دارة صدغه وعذاره
 وقال ديك الجن :
 فقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأنَّ لآماً أدبرت فوق وجنته
 وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضب مخضرا
 فإذا جلا لك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تعانق خدّه وعذاره
 وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عذاره
 ولكنها عن وجهه تنفّرج
 وفيه صباح بالظلام متوجّج
 ويسليك منها أقحوان مفلج
 وخدك من ماء الجمال مضرج
 تمسّطه أيدي الرياح فيهبج
 تلوح على غمرة مقمرة
 كما استلب الصولجان الكره
 لما دنت من نار وجنته
 ونون الصدغ منقوط بحال
 ألف تقوم تحت نون تعطف
 والخشف ملته فتأ والغصن منقطفا
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واختطّ كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاحة بها عضه
 والروض بين مجدد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كف أباج كالصباح الأبلج
 ألوى بقلبك أبلج في أدعج
 يحلوه حسن مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق ونفسح
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم تثنى مناطقه على هضم الكشحين ممشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخدَّ بالعذار ولا يحسنُ غصنُ الا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورَد وعينا غزالة وغُرَّة اصباح وطُرة غيب
وصدغُ يناجى الاذن وهو مُعقرب وطوراً يناغى الخدَّ غير مُعقرب
له من ظلام الليل أحسنُ ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرارٌ عليك أم حلقُ زانك صدغان أم هما زرد
وقلت : يفتنُ القلب بخدِّ لم يدعُ للورد قدرا
منهـا تكتبُ بالمسك على الكافور سطرأ وعذار يسحرُ الصبَّ وما يعرفُ سحرا
وبصدغ دار في الخدِّ كما تعقدُ عشرا
كلما أظلم (ليلى)^(١) كان (لي) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزرَّتْ يوسفَ لحيَّةُ ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من حبه في التحائه فما يحسنُ الدينارُ إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحتهُ فكأنما تكشف عن دُرِّ حجاب زبرجد^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعذرين كأنَّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسك تستمدُّ خلقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وَقُلْتُ : وَعَافَقْتُ خَلْفَ مَنْ صَدَغَهُ خَلْفًا كَالْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ وَكَالْجِيمِ فِي الْجِيمِ ؟

وَقُلْتُ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ :

كَأَنَّمَا النُّورُ مُضْحِكٌ يَقُقُ وَعَظْفَةُ الْغَصْنِ شَارِبٌ خَضِرُ

وَقُلْتُ : وَتَرَى النُّورَ مِثْلَ مُضْحِكٍ خَوْدٍ وَتَرَى الْغَصْنَ مِثْلَ شَارِبٍ أَمْرَدٍ

وَلَعَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّيْلِيُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ :

وَشَادَنَ سَائِقَاتِ الشَّعْرِ قَدْ سَلَكْتُ فِي عَارِضِيهِ عَلَى جَهْدٍ بِهَا طَرَقًا

هَذَا الْبَيْتَ مُتَكَلِّفٌ جَدًّا :

لَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أَخْطَأَتْ وَجَعَتْ وَلَّتْ تَعُودُ فِدَارَتِ كُلِّهَا حَلَقًا

وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ كِشَاجِمٍ :

عَلِمَ الشَّعْرَ الَّذِي عَاجَلَهُ أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ فَوْقَهُ

فَقَالَ هَذَا (وَقَفَ) وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (دَارَتْ حَلَقًا) الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هَذَا :

وَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي دَارَ مِنْ صَدْغِيكَ وَأَنْعَطَفَا وَصَارَ نَوْنًا إِذَا صِيرْتَهُ أَلْفًا

مَا كُنْتُ إِذْ خَنَنْتَنِي إِلَّا أَخَافِيَةً لَمْ تَسْتَعْصُ مِنْهُ إِذْ ضَعِيعَتُهُ خَلْفًا

لَمْ أَسْبِقْ لِمَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ . وَقُلْتُ :

قَدْ التَّوَيَّ ضِدْغَهُ وَاخْتَطَّ عَارِضُهُ كَأَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ فَوْقِهِ نُونٌ

وَقُلْتُ أَيْضًا وَلَمْ أَسْبِقْ إِلَى مَعْنَاهُ :

وَمُفَنِّجٌ قَالَ الْكَمَالُ لَوَجْهِهِ كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيْبَاتِ فَكَانَهُ

زَعَمَ الْبَنْفَسِجُ أَنَّهُ كَمَذَارِهِ حَسَنًا فَسَلَوْا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

أَعْنَى الْهِنَةِ النَّابِتَةِ تَحْتَ وَرَقَةِ الْبَنْفَسِجِ : وَقُلْتُ :

بَنْفَسِجٌ عَارِضُهُ يَنْثَنِي إِلَى حَمْرَةٍ مِنْ وَجْنِيهِ

فَيَجْعَلُ قَلْبِي فِي كَفِهِ يَسِيءُ إِلَيْهِ وَيَمْدُو عَلَيْهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

وَالصَّدْغُ فَوْقَ الْعَذَارِ مِنْكَسِرٌ كَصَوْلِ جَائِبٍ يَرُدُّ ضَرْبَتَهُ

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعمش :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا عشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
وأنشديت ذى الرمة :

عجزاء ممكورة^٣ خصانة^٣ قلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلمى تفوق المتى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً
وشاحها يحسد^٤ خلخالها كجائع يحسد^٤ شبعاناً

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء^٥ غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه^٦ يظأ من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خربة) . (٢) في ديوان الأعمش (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها : والقصب : العظام التي بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبيٌّ كَأَنَّ بَحْصِرَهُ مِنْ ضَمَرِهِ ظُماً وَجَوْعاً
وقلت : وقد بعصن أوفانا كشمايت كافور
وقد شددت زنانيراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبيتي تشبه البدر إذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد ^(١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً ^(٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه

يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبيه من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

من له حسن الرقيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريه

وقلت : لا والظباء الآنسات إذا رانت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لظناً أو ملن ملن غصونا

وبدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ما خنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا

وقبل هذا : مترجرج الارداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد بمقد ايننا

داب النعيم له فأنمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال : لا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الراي روضاً ممطوراً وشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأمل إلى خالد الكاتب . (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثوراً بل لا بُصر أعطاف الغتيان تتثنى تنى الأغصان في قراطق
الحبيرة ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأثمار مطرفة
بعقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح وببسمون
عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أسأء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجنى
أهيف كلقضيب لو أن رجلاً حرَّكت هذب ثوبه لتثنى

وأجود ما قيل في النهود وعظم العجيزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لا يمس
الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتى نديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
من الشاعر :

أبت الرِّوادفُ والثدىُّ لقمصها مَسَّ البطونَ وإن تَمَسَّ ظهورا
وإذا الرياحُ مع العشيِّ تناوحتُ نَبهنَ حاسِدةً وهجنَ غيورا
وقلت : تَمشي بأردافٍ أبينَ قعودَها بينَ النساءِ كما أبينَ قيامها
وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصناً ان هزَّه مشيهُ خَشيتُ أن يَسْقَطَ رُمانُهُ
إرحم مَلِكاً صارَ مستعبداً قد ذَلَّ في حبكِ سُلطانُهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العملى عن ابن خالد عن الهيثم
ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية
فطفق الاعرابي ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطاك وغصن يهتز وندى يحرق
أهابه وتقول اصطبر ، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك
لما يما يكتنى عنه الربلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا وَرداً على غصن بكرَّ اللحظ يلقطه
ورماناً على قن يكادُ المشي يسقطه
أتى والبدر يحسدهُ وشمس الدجّن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يبسطهُ

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أفأنتلى بفتورِ الجفونِ ورّماتينِ على منبر
كحقين من لبّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسي الدّاعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطتُ بكفيتها ^(١) ثمارَ نخورها كأيدى الأسارى أثقلتها ^(٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
لله دَرُّ عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أنا ملي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قُب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أثنيته لا ينثنى

وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقائق عاج وحلى زانه حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديها » . (٢) في الإصل « أثقلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الحقائق
أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :
يسمى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قَتَأَتْ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفَرْصَادِ
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قمرًا أبصرت في مآتم يندبُ شجواً بين أترابِ
يبكي فيلقى الدرّ من نرجسٍ ويلطمُ الومردَ بعنابِ
وقال ديك الجن :

ودعتها الفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
وحاذرت أعين الواشين وانصرقت تعضُّ من غيظها العنّاب بالبرد
فكان أوّل عهد العين يوم نأت بالدّمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأسرّعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
فاخضرّ موضعُ كفها فكأنّما غرّست بأرض بنفسج عنابا
وقال النّاشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
وكانّ يمينها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب النّاس عالمين
تخالّ تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متعاشقان مكأمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأنّما يتدارسان كتابا
واذا هدّت عين الرّقيب تخالست كفهاها جلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأنا» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنّيه له عناباً
 يذكّر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :
 انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
 أو خلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غصه
 ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب :
 كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كاجوان الجراد مفصل
 قوله « كاجوان الجراد » غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
 ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاث
 وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
 أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبس :
 لهوت عن الأحران إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق
 مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
 وقول أبي تمام : نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل ببض ثقل المغرم^(١)
 وصلت نجيباً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
 وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
 ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد
 ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
 لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفئن لوعة الوجد
 لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
 كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
 ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجم)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَّاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَحَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّهُ عَلَيْهِ طَلٌّ

وَمِنْ أَجْمَعِ بَيْتِ قَبِيلِ قَوْلِ الْمُحَدِّثِينَ :

فَأَسْلَبْتُ لَوْلَاً مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدّاً وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ
لَيْسَ لِهَذَا الْبَيْتِ نَظِيرٌ . وَقُلْتُ :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَنَّتُهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرَدَةَ غَضِهِ؟

وَمِنْ الْمَشْهُورِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ وَهُوَ حَسَنٌ :

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى حَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْتَارِ
وَنَحْوَهُ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي الْعَرَقِ :

يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهِهِ مِنْ الْفَمِ سَحَابٌ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فِرَادَى وَمِثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ
وَمِثْلُهُ مَا قُلْتُ :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضَى يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسْنَةٍ غَضَهُ
وَفِي صِفَةِ الدَّمْعِ :

تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمَ جَسْمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٌ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُوَ أَكْ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي امْتِلَاءِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَظْنَهُ :
فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي مَعْنَاهُ :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتُ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَمَاجُ دَمْعُهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ ^(١)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي (بِفَالٍ دَمْعُهَا نَظَرٌ كَلِيلٌ) .

نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَنَجَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ سِرَائِرِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَدِي وَيَدَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبَكَاءِ رَاحَةٌ وَعَنَّانُ سَرِّي فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَاءَ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشْيَةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادَهَا قَلْقُ حَتَّى عَلِقْنَ بِجَفْنِ رَدَّهَا الْغُرْقُ
فَفِي فَوَادِي سَبِيلِ لِلَامِي جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكُرَى قَلْقُ
لَهَيْبُ قَلْبِي أَفْضَ الدَّمْعِ مِنْ بَصَرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَاطْمَأْنَنُ خَدَّيْ تَجْعَلُ الْوَرْدَ خَرْمًا وَتَنْثَرُ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا
لَأَعَادَ تَفَاجَ الْخُلُودِ بِنَفْسَجَا لَتَمَى وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنِيَرَا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يومًا بيت ذى الرمة :

لَعَلَّ الْإِحْدَارَ الدَّمْعُ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِيَّ الْبَلَابِلِ

وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاةٌ وتسهيل
وهو إذا أنتَ تأملتَهُ حزنٌ على الخلدَيْنِ محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرهُ والدَّمعُ معترفٌ بهٍ لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجوابٍ لمفحم متحير إلا الدَّموعُ تصانُ بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبد الحريّ فسرو لك الصبر
وقد سبقتها عـبرةٌ فدموعها على خدّها يـبـيضُ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدَتْ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدَّمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ وُزِّرَ بعيمِ النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وماريجُ قاعِ ذى مُخزَأمى وحنوة له أرجُ من طيبِ النبتِ طازب
بأطيب من مَيِّ إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنَّ القبيحةَ جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) فى غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :

ألوف عطر تذكي وهى ذاكيةٌ إذا أساءتْ جوارَ العطر أبدان

نعيم كل نهار من مجامرِها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعشان الندى يشمها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ

بديعة وهو قوله :

وماريجُ قاعِ زاهرٍ مست الندى وروض من الرِّيحان سحت سحائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جرَّ من ذيل الغلالة صاحبه

بأطيب من أثوابِ شمر موهبا إذا الليلُ أدجى دابر كئائبه

إذا رغبتْ عن جانب من فراشها تضوَّع مسكاً أين مالتْ جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :

ذكرتك بالرِّيحان لما شمته وبالرَّاح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريجُ رَوْضِ ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن طازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلتْ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرميحان^(١) منك روائح^(٢) وبالراح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرتُ أياماً اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يذكرك مني الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمر بي وفد الصبا والليل يقضي نجه
 مر بروض زاهر ذر عليه عشبه
 فحاته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :
 فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوب ريح المسك فيه وإنما به المسك إذ جرّت به ذيلها جمل
 وقوله : وأنت الذي حبيت سعيماً إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواهما
 حلت بهذي مرة ثم مرة بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « غطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كلَّ أرضٍ يعمتها^(١) وإن مضت لها حججٌ يزداد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناسُ ساطع المسك من دجــــــــــــة قد أوسعَ المشاربَ طيبا
فهمُ ينكرونَ ذاك وما يد رُونَ أن قد حلت منها قريبا
وقال البحرى : فكان^(٢) العبير بها واشياً وجرس الحلى عليها رقبيا
وقلت : تأملت منها غزالاً ريبيا وبدراً منيراً وغصناً رطبيا
جلت لك عن خضل واضح بيتُ سناه عليها رقبيا
وهزت لنا بسرّة الكثيب قضيباً تفرّع منه كثيبا
عشية راحتٍ وأترابها يقلـبن للجر طرفاً مريبيا
كواكب ليل إذا مارأت كواكب شيب تهاوت غروباً
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول وغزلان رمل قلبن القلوبا
إذا زدتها نظراً زدتنى جمالاً بدبماً وشكلاً غربيا
رحلن العشية من ذى الغضا وخلفن فيه جمالاً وطيبا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيّب من طيبها والطيبُ فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسنُ من حلبيها والحلى فيها الدرُّ والجوهر
ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمرئ القيس :

ألم تر أنى كلما جئتُ طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) فى الأصل (دمتها) . (٢) فى الديوان (فصان) (٣) فى هامش الأصل : ما عليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبى القلوب» فكان أوقع فى النفوس .

أناها بمطرٍ أهلها فتضاحكتُ وقالتُ وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر
وقد أجاد البحتري :

لنا من ريقه راح ومن رياه ديمان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضتُ وكان معها حلوم
أيام يقى لي ويفنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب ^(١) :
ولولا أن يقال صبا نصيبٌ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصارُ
إذا ما للذل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاث لها الأزارُ
ومن مליح ذلك قول عوف بن محم ^(٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من القن الكبار
كالبدْرِ إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدني أبو أحمد عن الصولى قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقدم ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعبُ عما يقاسى الهائمُ الصبُ
شكوتُ ما لقاها من حبها فأقبلتُ تسألُ ما الحبُ
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم خيرُ المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست حبة لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخراعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقاتل الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها ما لم تذللْ بازٍ مام وتركب
والدرُّ ليسَ بنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملك للفؤادِ بغيره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جفوَ نِ دوامِ دوامِ

كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوامِ

مارأينا أخا هوى سرُّه غير ذائع

أن نيرانَ حبه باديات الطوامِ

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالى جفيتُ وكنت لأجفى وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى

وأراك تمزجنى وتشربنى ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافور لم أهجركمُ للمللة منى واللقالِ واشٍ حاسد

لكفى جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام

فيامنٍ ليس يكفيها محبٌّ ولألفا محبٌّ كلَّ عام

أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

دما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقون من عشقوا

صرتُ كائنٍ ذبالةً نصبتُ تضییء للناسِ وهى تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كيلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يومىء قول البحترى :

قصائد ماتنفكُ فيها غرائب تالِق في أضعافها وبدائع
مكرِّمةُ الانساب فيها وسائلٌ إلى غير من يحجب بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفعَ السترُ فانتفى غصنُ بانٍ يتجلى الهلالُ في معناه
ليس لي أنْ أنالَ ما أتمنى من جنى وصلةٍ اللذيدِ جناه
فلو أنى كنت في بعضِ شعري فاذا ماشدها قببت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفةٌ كانت سلاله بارقٍ تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلتم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من ضاحى التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :
ظبيٌّ له من قلوب الناس نابتةٌ من المودة تجنى أطيبَ الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصارُ فيه كأنَّ عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كلُّ شيء من محاسنها كامنٌ في حصنه مثلاً
ليس فيها ما يقالُ له كملت لو أنَّ ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متائنه بجباله صلف لا استطاع كلامه نيبها
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهها
 وقال: ألاحظ حسن وجنته فتجرحني وأجرحها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي هوأك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كأنك إشرافاً وحسناً وقلة رحمة المستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ماجاء في ذلك قول ابن الرومي :

ماساءني إعراضه عني ولكن سرّني
 سالفناه عيوضه عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن :

صدّ عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدّ عني من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبه له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تمجينه عليه قول بعضهم :

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأذنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطى عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليأسُ في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلتُ على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنتُ أملُ باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرتهُ
على أننى أنأى فأذنو تذكراً
ويعجبني حُبى له وصبابى
فلو ظننى أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشتى في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق

إذا قربتُ داره كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زاد الهوى لانتظارها
ففى كلِّ حال لا محالة فرحةٌ
ومثله قول الآخر :

وما فى الأرض أشقى من محبٍ
تراه باكباً فى كلِّ حين
فيسكى إن نأوا شوقاً إليهم
وان وجدَّ الهوى حلوَ المذاق
مخافةً فرقةً أو لاشتياق
وبسكى إن دنوا خوفَ الفناء

رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبى
وتجزع من بعدى وتنفرُ من قربى

فأجنى إليها الذنبَ من حيثُ لا أدرى
فإن سخطتُ كان اعتذارى من العذر
وإن كنتُ لم أذكركُ إلا على ذكر

وصبوة قلب ما ترى القلبَ شافياً
فصرتُ أرى للخلِّ ما لا يرى ليا
أرحم ظلاماً وأذكرُ ناسياً
جفانى وسمانى إذا غبتُ جافياً
ولستُ كنُ يدنو فينأى تناسياً
اليه وإمساكى عليه ودادياً
ولو خالنى أنساه لم يكُ نائياً
فيأمن سلوانى ويرجو غرامياً

أسفتُ فلا للقربِ أسلو ولا البعد
وإن بخلتُ بالوعدِ متُّ على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

فتسخن عينه عند التناهي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
 ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
 اذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيتبعه عتب^(٢)
 وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبتها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
 وصالحكم صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسامكم حرب
 ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد و يروى لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضية ، عنى بذلك الرضا بمفطيط
 علماً بأن الرضا سيتبعه منك التجنى وكثرة السخط
 فكل ما ساءنى فمن خلق منك وما سررتى فمن غلط

ومن البديع فى طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
 وإلا فابذل من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت فى نحو ذلك :

تسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
 كثير سرورى فى قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر

ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
 بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الأنبارى لجميل^(٤) :

(١) فى الأصل (تسخن). (٢) فى ديوان ابن الاحنف (لعملى بأن سوف يتبعه العتب)

(٣) فى ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر البندرى

وإني لأرضى من بشينة بالذى لو استيقن الواشى لقرت بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أوأخره لا للستقي وأوائله
 وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلت منها محرماً غير أننى إذا هى بالت بلت حيث تبول
 وعفة هذا كلفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثنى
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قاله العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد أنسى ذكراها فكأنما تمثلى لى لى بكل سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمر وداؤه ودواؤه لديها ورياها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى ترأسله
 ويهترئ للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأحببت لو أتى غدوت مريضاً
 وزدت اتساعاً فى المكارم والعلل ليصبح جاهي عندهن عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الحطيئة والحطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وقفات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى ولحظُ عينيهِ أمضى من مضاربهِ
فما خلعت نجاداً في العناقِ لهُ حتى لبستُ نجاداً من ذوائبهِ
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبهِ من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبهِ
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيبِ تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضورِ
وأطيب ما كان برؤ الثغورِ إذا هو صادفَ حرَّ الصدرِ
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذارهِ بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهاك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ما تصنعُ الشمسُ لهُ فياً
بأى وجهٍ أتلقاهمُ إذا رأونى بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أى الواعدينَ تربتهُ أشدَّ كما مطالاً فأنى لأدرى
أأنتِ بنيلِ منك يبردُ غلتى أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبرِ

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هى الشمسُ مسكنها في السماء فعزُّ الفؤادِ عزاءُ جميلا
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظيرِ قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيالَ الظنُونِ بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^٢ ليس يدرى أنه صدقا
وهذا معنى غريب بديع ما ظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :
شكوت^٣ إلى بدرٍ هوأى فقال لي ألت ترى بدر السماء الذي يسرى
فقلت^٤ بلى قال التمسهُ فإنه نظيري ومثلي في علو وفي قدر
فإن نلتَهُ فاعلم بأنك نائلي وإن لم تنلَهُ فابغِ أمراً سوى أمرى
فكان كلا البدرين صعباً مرامه^(٢) فويلي من بدر السماء ومن بدرى
ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبله والاعتناق قول محمد بن
عبد الله بن طاهر :

ليس عني شحط^٣ النوى بعظيم فيه غم وفيه كشف غوم
من يكن يكره^٤ الفراق فاني أشتيه لموضع التسليم
إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لقدوم
فلكم قبله وغيبة شهر (هي) خير من امتناع مقيم
وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كان في الفراق عناق^٣ جعل الله كل يوم فراقا
أجود ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كأن القلب ليلة قيل يفدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة^٤ عزها^(٤) شرك فبات تجاذبه وقد علق الجناح

فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :
ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل^٣ » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنتاني من شعراء العصر الأموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب
والحنين . (٤) كذا في الأمل ، وفي الأصل « غزاها » وفي الصناعتين « غرها »

تكادُ غروبُ مقلته نعمُ الارضَ بالفرق
كأنَّ فؤاده قلقاً لسانُ الحيةِ الفرق

وقد أحسن في قوله أيضاً :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كلما خفقاً
ياشوق إلذين حال البينُ بينهما فعاقصاه على التوديع فاعتنقا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقاً
وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولوداواك كلُّ طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاك
ولو أصبحت تملك كلَّ شيء سوى ليلى عتبت على غناك
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المعشوق قول أبي دافع العجلي :
أحبك يا جبانُ وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أحبك أحبَّ نفسي خلفتُ عليك بادرةً الطعان
لاقدامي إذا ما الخيلُ جالت وهابَ شجاعها وقعَ الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفز بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالفتى وإن لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها وينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعاني بلاعنا وقد جن من وجدى بليلي جنونها
ومثل ذلك : فإن يك عن ليلى غنى وتجلدُ فربَّ غنى نفسٍ قريبٌ من الفقر

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لهـلَّ الريحَ تحمِلني إليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيته فما يطبق ضعفه^(١) حل اسمه
فلا يراك عائداً إلا بمين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظم الجسم حبها وينقصها حتى لطفن عن النقص
وقد دُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي
وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمه والحنين وبرَّاه الهوى فما يستبين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن دقَّ جداً فما تراه العيون
وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فما مضى خاتم فاليوم لو شئتُ تمنطقُ به
ودُبتُ حتى صرتُ لوزجَّ بي في مُقلَّةِ النائم لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسماً من بعد جدته فما تكادُ العيون تبصره
كانه رسمُ منزل خلق تعرفه العين ثم تنكره

ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشرر
نظرتُ إليها والريبُ يظنني نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتل الله الهوى ما أشده وأصرعه للمرء وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطبق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجه صاحب الأخبار مع أبي تمام ، رثاه البحري لمات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتُهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أسنمَّ عناقهُ لقدومه حتى بدأتُ عناقه لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا

بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا

وأنشدنا عنه لأبي العميل^(١) :

أقيمتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرٍ ونحن حرامٌ مسمىَ عاشرة العشر^(٢)

فكلما نلتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياق طريقها

وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها

ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن ظاهر وشاعره ، كان

مكثرًا من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه

من الأمل ، وفيه : عن عُفْر : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،

ومسمىَ عاشرة العشر يعني أنه أقيمتها بعرفات عشية عرفة وهو مسمى عاشرة العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفتُ كبدٌ مما يقلنَ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها بؤرقتى والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
واني لا أستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةَ بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسى أروضا لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لى من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ انما هى الهجرُ لا والله ما لى لك الهجرُ
ولسكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسى لعلها تمسك لى أسبابها حينَ تهجر
والزيادة فى قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
وما عرّضتُ لى نظرةً مذعرفتها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لى لى بكلِّ سبيل
وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين نصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولى عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقى عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كانَ هجرانى لها من ملالةٍ ولكننى جرّبتُ نفسى على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل فى هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولى عن ثعلب وأبى ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفحاً بسا كن ذى الغضا فيصدعُ قلبى أن يهبَّ هبوبها
قريةً عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالم عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب^(١) به أهل ميّ زاد شوقي^(٢) هبوبها
 هوى تنرف العنان منه وإنما هوى كل نفس أين^(٣) حلّ جيبها
 مو قال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرني يا ظلوم تبني شمائل بادي البث منصدع القلب
 بريثاً غنى الذنب لما هجرته^(٤) لكما يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعتني بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نبك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف وبشفق
 وقلت : قد عريت أنما حين اكتست أردية الريح عشيّاً وضحي
 لم يبقَ فيها غير ما يدكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللباليا
 ولا عرابي : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نصد
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقي)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرته)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبيه على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله كثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَّ من حبِّ تكتم ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجنّني بمثلِ المسكِ أطيب نفحة وجنّني بمثل الليل أطيب مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

سرفتُ ودّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبت سوادَ الجليلِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخلالُ في وجهٍ مليح فيكسوه الملاحمةَ والجمالا
 ولستَ تملُّ من نظرٍ إليه فكيفَ إذ رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً لكالذي ذلك في الظامة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أنى سرّيت وكنت غير سرور وتقربُ الأحلامُ غير قريب
 ما تمنى يقضى فقد تؤتته في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من هو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرّد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من زار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر خل .

نأتِكَ أَمَامَةَ إِلَّا سَوْالًا وَإِلَّا خِيَالًا يُوَافِي خِيَالًا
 خِيَالِي يُخَيِّلُ لِي نَيْلَهَا وَلَوْ قَدَرْتُ لَمْ تُخَيِّلْ نَوَالًا
 وَهَذَا مِنْ مَعَانِي الْقَدَمَاءِ غَرِيبٌ وَهُوَ أَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي بَحْلِ الْمَعشُوقِ ، وَمِنْ هَاتَيْنِ الْقِطْعَتَيْنِ
 أَخَذَ الْمُحَدِّثُونَ أَكْثَرَ مَعَانِيهِمْ فِي الْخِيَالِ ، وَمِنْ الْبَارِعِ الْفَصِيحِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْبَعْثِ^(١) :
 أَزَارَتْكَ لَيْلِي وَالرُّكَّابُ خَوَاضِعُ وَقَدْ بَهَرَ اللَّيْلُ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
 فَأَعْطَتْكَ آيَاتِ الْمَنَى غَيْرَ أَنَّهَا كَوَاذِبُ إِنِّ حَصَلَتَهَا وَخَوَادِعُ
 عَلَى حِينٍ ضَمَّ اللَّيْلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَنَاحِيهِ وَانْقَضَتْ نَجْمُومُ ضَوَاجِعُ
 وَأَعْجَلَهَا عَنْ زُورَةٍ لَمْ أَفْرِبْهَا مِنْ الصَّبْحِ حَادٍ يَزْعِجُ اللَّيْلَ سَاطِعُ
 وَأَحْسَنُ النَّمِيرِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

عَجَبًا لَطِيفِكَ أَنَّهُ يَشْكُو الْجَوَى وَهُوَ الْجَوَى

أَخَذَهُ مُسْلِمٌ فَقَالَ :

طِيفَ الْخِيَالُ عَهْدَنَا مِنْكَ إِمَامَا دَاوَيْتَ سَقَمًا وَقَدْ هَيِجْتَ أَسْقَامَا
 وَمِنْ اللَّفْظِ الْغَرِيبِ قَوْلُهُ : * ز * الْكَرَى طِيفَهَا وَهَنَا خِيَالِي *
 لِأَعْرِفَ أَنَّهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا اللَّفْظِ . وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :
 اسْتَزَارَتْهُ فَكَّرْتَنِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانَاهَا فِي خَيْفَةٍ^(٢) وَاسْتَتَامَ
 يَالَهَا لَيْلَةٌ تَزَاوَرَتْ^(٣) الْأُرَى وَاحٌ فِيهَا سِرًّا مِنْ الْأَجْسَامِ
 مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ
 وَهَذِهِ مَعَانٍ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لِأَلْفَاظِهَا طَلَاوَةٌ . وَمِنْ غَرِيبِ الْمَعَانِي فِي هَذَا قَوْلُ دَعْبَلٍ :
 سَرَى طِيفٌ لَيْلِي حِينَ حَانَ هُبُوبٌ وَقَضَيْتُ شَوْقِي حِينَ كَادَ يُوُوبُ
 وَلَمْ أَرْ مَطْرُوقًا يَحْمِلُ بِطَارِقٍ وَلَا طَارِقًا يَقْرِي الْمَنَى وَيُثِيبُ

(١) هُوَ خَدَّاشُ بْنُ بَشْرٍ مِنْ بَنِي مَجَاشِعٍ ، كَانَ أَخْطَبَ بَنِي تَمِيمٍ وَسَمِيَ الْبَعْثُ بِقَوْلِهِ :

تَبِعْتُ مَنْى مَا تَبِعْتُ بِمَدْمَا اسْتَمَرَّ فُؤَادِي وَاسْتَمَرَّ عَزِيمِي

(٢) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ « فَأَتَانِي فِي خَيْفَةٍ » . (٣) فِي الدِّيْوَانِ (تَنْزَهَتْ) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .
ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقنا فأنالت نائلا شكره لو كان في النبة الجحود
ثم قالت وأحست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سر أنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فأريت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار
فتعجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتنى جلنارية على جلنار
آخر : فإليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعود
أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطيع شديد
الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف
وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحدوني :

لم انله فتلته بالامانى فى منامى سراً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان
وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الأبدان
منظره كان كزهره العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برويته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقى وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخذع من لحظه ووعد كذب من طيفه
وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهبقي وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض اطبي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يعاطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صغت إلى خبر أذناى غير صدوق
وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت فى خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل فى الرقاد غزالاً
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فعدا التيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
وما قيل فى الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرى فى جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذا أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربح المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل فى صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم ويتمجبون من حسنه:
كأن تحت درعها المنعط ضخم القذال حسن الخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كهامه الشيخ البيانى الشمط
لم يعمل فى البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) فى الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مقررمد
 وإذا نزع نزع عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 بصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزع كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هن تستعيرُ وقده من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حرُّه لخابره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سخته :

بسع السبعة الاقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهم الدنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنة خبا زٍ وقد أمها من الأدم جنبه
 وقال المزدل بن غيلان ^(١) :

ومركب كبيضة الأذجي كأن نبت الشعر المطلى
 عليه شونيزٌ على فرقى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقول والقوم تعادى بهم الى الوغى مضمرة قرح
 استحمل الله على مركبٍ يحث بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المزدل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانه في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود نديها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الرازي في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد
فشبّ بنو لبلى وشبّ بنوا بئها
ابن المعتز : من معبى على السهر
وابلائي من شادن
ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأنّ القلوب تحاذي القلوبا
لما كان يشكو محبّ حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
نلت له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

آياته التي أنشدتها :

أراني تعرفوني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدى والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأى الذى كنت أرثى ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمُرُ قلبي عذرها ويعينها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازرهُ قلبي على وليس لي يدان بمن قلبي على يؤازرهُ
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تحبني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :

يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما
الإنما بعد الحبيب وقربُه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمرتب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقرتب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذى أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودٌ
وقد أصفيتها ودّى بجهدى فعارضَ في الجفاء بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البين خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت
وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
أن تسخن يبعدك فى عند الاجتماع كبد ترجف وعند التناهى مقلة تكف . ومثله :
لا الذى بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحا وكلفا لأنى منقسم القلب بين رجاء يمدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وإن نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .
وسمعت لمانى الموسوس ^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
نعاقتُ التى بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا
وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى
فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بلبلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيبُ اثاما
فنبيحهن مُرادهن يردنه فيما أدعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافئ الأذان وهي حقيقةٌ إذ لا تزال تكابدُ اللواما
 فنثيبن من الحديث مشوبةً تشفى الغليل وتكشف الأسقاما
 ونكافئ الأفواه عن كتمانها إذ لا يزال لها الصماتُ الجاما
 فنبيحمن ملامئاً ومراشفاً ماضراً أن لا تكون مداً
 نجري الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

وخلال الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قى فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحدهُ لقد جلَّ قدرُ الدمع فيه إذا عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كنَّ حبيبها لأوَّلِ نظرةٍ ولا غمرة من بعدها فتجلتِ
 ولكنها الدنيا تولتُ فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتولتِ
 وقال أعرابي :

أعللُ أصحابي بجدِّي وباطلي وأسماء جدَّ القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
 أدمنتُ بالألحاظِ وجنتهُ فاقتصَّ ناظره من القلبِ
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتُ إلغى يدي خانَ يميني جلدِي
 فاقتصَّ لما اغرورقتُ مقلته من كبدي
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرضِ يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أى هضَّ يدفعُ منها بعضها من بعضِ
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الودّ مادمت حيةً وودّك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أنما ط لهم وقطوع
 لعمرك ماشيً مرّيتُ بذكره كآخر يأتي بغتةً فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزير والمسجدِ الجا مع ظبيٍّ كالظباء في جيده
 أطاره رَمَّةٌ فقد ضاعَ لا ضاعَ وضاعَ التميّزُ في بلده
 ليسَ له ناقدٌ فيعرفه وَاَقَةُ التبرِ ضعفُ منتقده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهواءِ الرّجال
 تراني آمنَ الشركاءِ فيه وآمنَ فيه أحداثِ الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواهُ فقلتُ لها إذا فنى المـلاح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارَةُ تسليبي عليك فسلمى
 آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده فى العاجل ويدل على ما أعد لمحسنهم فى الآجل فقال (يا أيها الناس
كُلُوا مِمَّا فى الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً) وقال (يا أيها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
واعْمَلُوا صَالِحاً) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتأم لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفى ذكر الشراب
وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعانى ﴾

﴿ الفصل الأول فى ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً وَتَعَاوِلاً لِلْمُتَّقِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها فى الدنيا والدين فأما منفعتها فى الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها فى دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنها لمن تبصر ، وأما منافعتها
فى الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يقتسل في دجلة فضربت رقبة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يهدروا وينقض العهد بجرمان منافعها . وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بَنَائِقَ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانٍ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضرم من اللهب^١ يشبعنه من فحم ومن حطب^٢
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب^٣

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعتهن مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الافشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شقٌّ إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو السماء^(٢) ترتمي بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعتهن مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائماً) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهب كما عصفت شق إزار
طارَتْ لها شرر (١) يهدم لفحها أركانهُ هدماً بغير منار (٢)
ففصلن منه كلَّ مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكلّ فقار
رمقوا أعلى جذعه فكأتما رمقوا هلال عشية الافطار
كروا وراحوا في متون ضوامرٍ قيدت لهم من مربط النجار
لا ينزلون (٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طالب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقت :

أوقدتُ بعد الهدو ناراً لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إن علا نضارُ لكنهُ إن هوى لجين
دعتهم فأنثى اليها محبهم قرة رأين ؟
إلى كريم الفعالِ سمح عطاؤه للكرم زين
يقضى ديون الملا ببذلٍ إذ ليس يقضى لهن دين

وقال ابن المعتز :

وقد نعل شرر الكانون كأنه تشارُ ياسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محلل مشقة على حبسان
ردت عليها الريح فضل دخانها فأتت به سيجاً على عصان
فالجو يضحك في ايضاض شرائر منها ويعبس في اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشرب على النار في السكوانين إذ ذهبت دولة الرّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لايرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَحْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه :

قَصُرْتُ بِدَ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَرٍ وَأَخْتُ الْجَرِّ صَافِيَةُ الرَّحْبِقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ بَوْجَنْتِيهِ كَكَاغُورٍ يَنْذُرُ عَلَى خَلُوقِ
وَقَات : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ مُفَقَّرًا لَيْلَى فَهَاتِ الرِّيحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَايحِ
جَرَادِ الْجَرِّ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ كَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْإِفَاقِي
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعَطَرَاتُ تَطِيرُ مِنْهُنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسْكَاتُ مَطَرَرَّةُ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي سَقُوطِ الشَّرَرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالْبَسْطِ :

فَتَرَكِ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابُهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلَّتْ :

كَأَنَّمَا النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَرُّ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمِنْ بَدِيعِ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعْجِلِ قَصْدُ الشَّبُوحِ لِلشَّيْخِ الْجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي الْحَلِي يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورٍ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَا لَهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِثْنَانِي وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ ^(٢) :

نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَتَوَيَّ هَامِدُ وَجِوَالِمِ سَقْعِ الْخُدُودِ رَوَاكِدُ
عَرِينِ مِنْ عَمْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَا بَدِ
فَوْقَيْنِهِ عَبَثَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنْفَ يَرِنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (يَسُوقُهَا) . (٢) اِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْكِنَانِي

الْقُرَشِيُّ ، مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، مَدَحَ الْوَلِيدَ الْأُمَوِيَّ بِدَمَشْقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام : أناف كالخودِ لطنَ حزنًا ونزى مثل ما انقسم السوار
ومما يجري مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
* شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداعٍ وأطرار
وشققتُ عنها ستورَ الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج :

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجهِ الدُّجى غرَّةً
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهتكت ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرُ في أصفر يقدمها أسودُ في حمرة

وقال السرى في الكانون :

وكأنما الكانونُ ألهبَ جمره أحداق أسدٍ يدرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت في الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبلِ الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالخناء
وأسهم تصبغ بالخناء فيها كها ريحانة الشتاء
واشربُ عليها حلبَ الصهباء فشربُ صهباءَ على شقراء

يطرف عينَ البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
فحمٌ كيوم الفراقِ تشعله نارٌ كنارِ الفراقِ في السكِّدِ
أسود قد صارَ تحت حرِّتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرَّمدِ

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناكير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصبغى قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأنا في بخيزة من حنطة كأنها مناكير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الحجر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يحول فيها المثراد كما يحول الضبعان في الضفرة ، ثم أتاها بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجري عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينافى بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعشى جلس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلا حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أنتشيه وأنا والله أشتهي . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض بالبين الحليب بالسكر السلياني بالسمن السلي ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

مانس لا أنس خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدى الخابزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاء من أرداحين يريد
وضمتُ إلى الحلواء فيه فواكهة عليهن أهواء النفوس وفود
وقال الصنوبري في رقاق ورووس :

غير ماراج من رقاق رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كلام ذى الحباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقيالهن وما يبين من مضر شديد الضرام
كأناس يؤشحو مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير ماراج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هَامٌ وَأَرْغَفَةٌ وَضَاءٌ فَخْمَةٌ قد أخرجت من جاحم فَوَّارِ
كُوجُوهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ابْتَسَمَتْ لَنَا مقرونةً بِوُجُوهِ أَهْلِ النَّارِ
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فَوَّارِ محلل الشَّقَشَقِ والأَنْوَارِ
ملبساً حُلَّةَ جِلْمَانِ يقسر منه جِلْدُهُ النَّضَارِ
عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقليل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأبخص عينيه وأفقص أذنيه وأخديه وأرمت بالدماع إلى من هو أحوج مني إليه فقليل له إنك لا تحق من ربيع قال وما حق ربيع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فاحقه ياه لاء^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فالحلم وأما الياض فالتقيد . وقلت في صفة اللحم:

تركتُ سمينَ اللحمِ بيضٌ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فنونها فيبيضُ إلى حمرةٍ وحمرةٍ إلى صفر
إلى ثردةٍ رقطاءَ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر
وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «من

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربيع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراج بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

تَرَكَ اللَّحْمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا سَاءَ مُخْلِفُهُ .

وأحسن ما سمعت في جل مشوى قول السرى :

أَنَعْتَهُ مُعْصِفَ الْبَرْدَيْنِ أَيْضُ صَافِي مُحَرَّةِ الْجَنَيْنِ
خَلْفَ شَهْرَيْنِ عَلَى خَلْفَيْنِ ثُمَّ رَعَى بَعْدَهُمَا شَهْرَيْنِ
فَجَسَمُهُ شَبْرَانِ فِي شَبْرَيْنِ يَأْخُسْنُهُ وَهُوَ صَرِيحُ الْحَيْنِ
بِمَرْفَةٍ مُرْهَفَةِ الْخَدَّيْنِ بِكَفٍّ شَاوِعَ طَرِ الْكُمُومَيْنِ
كَسَارِقِ حَدٍّ مِنَ الْيَدَيْنِ ذُو طَرَفٍ يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَيْنِ
يُرِيكَ مَرَاةً مِنَ اللَّجَيْنِ مَذْهَبَةَ الْمُقْبِضِ وَالْوُجْهَيْنِ
شَقَّ حِشَاءَ عَنْ شَقِيقَتَيْنِ أُخْتَيْنِ فِي الْقَدِّ شَبِيبَتَيْنِ
كَأَقْرَنْتَ بَيْنَ كَأَتَيْنِ أَوْ كَرَقَى مَسْكَ الْطِيفَتَيْنِ^(١)
أَنْ شَيْنَ ذَوْرَقَيْنِ نَاجِمَيْنِ فَأَنَّهُ زَيْنٌ بَغِيرِ شَيْنِ

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية :

وَسَمِيطَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٌ ثَمَنًا وَلَوْ نَا زَفَهَا لَكَ حَزُورُ
طَفَقَتْ تَجُولُ بِذَرْبِهَا حَوْذَابَةٌ فَأَتَى لِبَابِ اللُّوزِ فِيهَا السُّكَّرُ
ظَلْنَا نَقْشَرُ جِلْدَهَا عَنْ لَحْمِهَا فَكَأَنَّ تَبْرَأً عَنِ الْجَيْنِ يَقْشَرُ
يَا حَسَنَهَا فَوْقَ الْخَوَانِ وَبَنَتَهَا قَدَّامَهَا بِصَبْرِهَا تَتَغَرَّغُرُ
وَتَقْدَمُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَائِدُ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلِهِنَّ يُصَدَّرُ
وَمَدَقَقَاتُ كُلِّهِنَّ مُزْخَرَفُ بِالْبَيْضِ مِنْهَا مَلْبَسٌ وَمُدَنَرُ
وَأَتَتْ قَطَائِفُ بَعْدَ ذَلِكَ اطَائِفُ تَرْضَى إِلَهَاءُ بِهَا وَيَرْضَى الْخَنْجَرُ
ضَحَكَ الْوُجُوهُ مِنَ الطَّبَرِ زِدِ فَوْقَهَا دَمْعُ الْعَيُونِ مِنَ الدَّهَانِ تَعْصُرُ
وَقَلْتُ فِي سَكْبَاجَةٍ :

سَكْبَاجَةٌ طَيِّبَةٌ نَشَرَهَا كَأَنَّهَُا عُدُودٌ عَلَى مَجْمَرِ

(١) سقط هذا العجز من الأصل فاستدركناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
يا حسن باذنجانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وهي نحاكي سفظَ الجوهر
كغرة في فرس أشقر
أسمر وسط المرق الأحمر
وجال فيه قطع الغنبر

وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزورُ بصدرٍ نهـد
مرهفة ذات شَبَّا وحدِّ
أجريتُ منها في مجال العقد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبه الزُّهد

وقلت في قدور على نار :

كُتبتُ أستعجلُ الندامى
وقد أنا في الغلامُ يسمي
والنارُ تستعجلُ القدورا
بأرغف تشبهُ البدورا
وعندنا قهوةٌ شمولُ
لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبلَ المزاج ناراً
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارسياً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربلَ رائباً
وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فنفس الصمءاء ثم قال :

واهاً على محسومة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسومة واللحم مغسومة
قد كملت عرافا وألحفت رفاقا
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بفلـ فل وحـ فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا نردة كما وصف فلما قدمتها
ارتعش طرباً ثم قال أي بآبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة
وجلس فأكل أربعة أرغفة في نردة وستة ثم قبل رأسى وقال بآبي أنت وأمي
لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والنردة والله ما دخلت الحضر إلا في
طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرثفَ ولا المزدرأ

حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاى في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالخبر

ومن سسم قد زعفرؤهُ كأنهُ قراضةُ تبرٍ في لجينة غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدوافى به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذلباً ونعماً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشى أفرندٍ معقدة الخضر

بأحسن من مخضرة العنصن إذ بدت بواكرُ منها في الحاسد والازر

تم قال : وإياك بأذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر

فجاءتْ بأبواب الحداد مدلهـ بأذناها العم المعقفة الخضر

وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر

فنجملها شطرين نلقمُ شطرها وتنبعهُ قبلَ الاساغة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاه هل لك في هريس
أمل الليل صانعها بضرب
وبين يديك من مرى عتيق
أرانا حول صحفتها^(١) بروكا
فيا لله من لقم هنا كم
تجاذب بالشجيج وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
كأنَّ الموقدين لها جمال
بأيديهم مغارف من حديد
وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافوريه
للرم فيها حمة مسكه
تأور في مبيضة فضيه
ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني
غرني منه منظره ولباسه
مجلس كالجنان حسناً ولكن
فلمعري كان الخوان ولكن
وجفان مثل الجواني ولكن
وغضار الألوان جاءت ولكن
فاذا ما أدرت فيها بندي
لشقاى فليتة مادعاني
وأثاث ومجلس وأوان
قبح الجوع حسن تلك الجنان
لم يكن ما يكون فوق الخوان
ليس فيهن ما يرى بالعيان
ليس فيها روائح الألوان
لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضغٌ على غير شيء غير صكِّ الأسنانِ بالأسنان
ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عندَ مدِّي لها فدأى وشأنى
لو ترأى والجوعُ يضحكُ مني عندَ غسلي يديَّ بالاشنان
زادَ في السفرِ مسرفاً مثلها أسرفَ عندَ الطعامِ بالنقصان
والفضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالمترعِ المِلان
سكرة فوقَ جوعةٍ تركتني راحماً كلَّ جائعٍ سكران
وقلت في قريب منه :

أتدعوني وتطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك في يومٍ عسيرٍ فلا ينفكُ في يومٍ عسير
ها حَرَّانٍ من جوعٍ وسكرٍ فيالك من سَعيرٍ في سَعير
أقولُ وفي غضائره عظامٌ أعرق من قدور أم قبور

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا ^(١) وقد
دعاه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خبار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
يصحبها بوارد فسمها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
عارية فسمها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فسمها معقدة ^(٢) لأن البياض
لبس المعقدة وهي لأمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
لقلّة زعفرانها فسمها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محولة فسمها
قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فسمها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فسمها
حسكية لتشجيع لحمها ثم قرب زعفرانية فسمها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
الزعفران والحلاوة فسمها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة مثقلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر الملقب العالم المحقق ، من أهل خراسان.

(٢) في معجم الأدباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الفائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغبرة قائمة كأنها من سفر قادمة
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) نادمة
ثم بشطرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمة
فلم تزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة قد قتلها أمها ظالمة
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمة
أقنبت ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمة
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسلطانها قد تركت آنا فنا راغمة
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفس هائمة
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخاتمة
ظل الكرايسى مستميراً من عصبة في داره طاعمة
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
وولدت دايته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خدًا ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراث نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفى نسخة

(إسلامها) . (٣) فى الاصل (ثم تقضينا) . (٤) فى الاصل (مقيدة) .

وغاية اللطفِ ففني جرّةً محطومة صارت لنا حاطمه
نبولُ فيها ثم نسقى بها يالك من عارضة لائمه
وعجلة تشدو بالخانها وكانت الكية الخازمه
فكان فيما أنشدت أذشدت من لى من بعدك يافاطمه
نشتم من أسمعنا صوتها وهى لنا من بعده شامه
ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
فلو ترانا وترى زادنا حياؤفت منا نعماً ساممه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبوالحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
التي كنا نفرضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيأنا منها :
طعمت يا أحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفرضناها

ثم كتب اليه أبو الحسن :

يامن دعاني أطال الله عمرك لى ولاعدمتك من داع ومحتفل
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه كأنه متمطٍ دائم الكسل
قد مدّ كلتا يديه لى فذكرنى بيتاً تمثلته من أحسن المثل
كأنه عاشق قد مدّ بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
وقد تمدى بأطوار الرّفاق لنا مثل الفقير اذا ملاح فى سمل
فليت شعرى ماذا كان أنحله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
مددت كفى فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدّم لى أعظم حويلة قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعله^١ اللعب بالشطرنج في قصعته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعات^٢ تليف شطريه^٣ بالهندمة
فمن صدر فائقة قد نوت ومن عجز ناهضة ملقمة
ودنر بالجوز^٤ أجوازه ودّرهم بالوز^٥ ما درهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضة مدغمة
فمن أسطر فيه مشكولة بملح ومن أسطر معجمه
وطرز بالبقل أعطافه فوافي كحاشية معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التغايف والنمنمة
وأنشد في الشواير^(١) :

مامتعة العين من خد تورثه يزهي عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالكأس أو يمتناه بالكوز
انهي اليك من الشيراز إن وضحت في صحن وجنته خيلان شونيز^(٢)
وقد جرى الزيت في مثنى أمرته فضارعت^٣ فضة تعلی بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميس بشونيزة كالعروس تخطر في الحلقة المسهمه
وتفشي موائد قد عوليت أطايب كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر الفاوذا أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج مأوه : (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مَشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ قَسْوَقٍ دَارَتَهُ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ^(٤) بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٥) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظِلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْدَانَ فِي الْهُوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالَةَ قَالَ سَأَلَ اِعْرَابِي عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالَوذِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِفَالَوذِ لَأَمَنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِمِصْبَاهٍ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهَدِ الْمُخْلَقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِاللَّطَافِ غَيْرَ خَلِيقٍ
 كَأَنَّ أَصْفَرَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبَرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيقٍ
 وَقُلْتُ : حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحُشْوُ الْخُلُوقِ
 يَطُوفُ الدُّهْنُ بِأَرْجَائِهِ اطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّمَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقٍ
 وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيبَا
 مَسْتَكْنَفَ الْحُشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرُهُ لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْنَبَا
 وَقُلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحُشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنَشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) اِشْمَلُ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كَأَنَّهُا مِنْ طَيْبِ أَنْفَاسِهَا قَدْ سَرَقَتْ مِنْ نَشْرِ مَارِيهِ
جَاءَتْ مِنَ السَّكْرِ فَضِيَّةً وَهِيَ مِنَ الْأُدْهَانِ تَبْرِهِ
قَدْ وَهَبَ اللَّيْلُ لَهَا بُرْدَهُ وَوَهَبَ الْخُصْبُ لَهَا زِيَهُ

وَقُلْتُ فِي ذِمِّ الْبَازِجِيَانِ :

قَرَانَا بِقَوْلَا إِذْ أَنْخَسَا بِيَابَهُ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبِهَائِمِ
وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقُرَى وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقٍ أَغْبِرُ قَاتِمِ
فَصَامَ وَصَوْمُ اللَّيْلِ لَيْسَ بِجَائِزِ وَإِنْ جَازَ فِي فَقِهِ اللَّثَامُ الْأَشَائِمِ
أَجَازَ صِيَامَ اللَّيْلِ حِينَ اسْتَفْزَرَهُ تَعَاوَرُ ضَيْفٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ عَائِمِ
فَبِتْنَا أَدِيمَ اللَّيْلِ نَطْوِي عَلَى الطَّوَى كَأَنَّا عَلَى غِبْرَاءَ مَنْ ظَهَرَ وَاشِمِ
وَأَطْعَمْنَا لِمَا مَرَقْنَا مِنَ الدُّجَى دَحَارِيحَ لَا تَنْسَاقُ فِي حَلَقِ طَاعِمِ
مُدَوَّرَةً سُودَ الْمُتُونِ كَأَنَّهَُا خَصِي الزَّيْتِجِ لَا حَتَّ تَحْتَ فَيْشِ قَوَائِمِ
فَابْشَارَهَا تَحْكِي بِطُونِ عَقَارِبِ وَأَرُوسَهَا تَحْكِي أَنْوَفَ مُحَاجِمِ^(١)

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي حَدَّثَنَا نَصْرُ قَالَ قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ قِيلَ لِلْفَاخِرِيِّ أَيْ التَّمْرِ أَجُودُ ؟ قَالَ الْجَرْدُ الْفَطَسُ الَّذِي كَأَنَّ نَوَاهِ السَّنَنِ
الطَّيْرَ تَضَعُ الْوَاحِدَةَ فِي فَيْكِهَا فَتَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي كَعْبِكَ يَعْنِي الصَّيْحَانِ تَمْرَ الْعَلِيَّةِ .
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ اجْتَمَعَ أَرْبَعَةُ رَهْطٍ سُرُورِي وَنَجْدِي وَحِجَازِي وَشَامِي
فَقَالُوا تَعَالَوْا نَتَنَاَعِ الطَّعَامَ أَيُّهُ أَطْيَبُ : قَالَ الشَّامِي : إِنْ أَطْيَبَ الطَّعَامُ ثَرِيدَةٌ
مَوْسَعَةٌ زَيْتًا تَأْخُذُ أَذْنَاهَا فَيَضْرِبُ عَلَيْكَ أَقْصَاهَا تَسْمَعُ لَهَا وَقِيئًا فِي الْخَنْجَرَةِ كَتَقْتَحِمِ
بَنَاتِ الْخَاضِ فِي الْخَرْفِ ، قَالَ السُّرُورِيُّ إِنْ أَطْيَبَ الطَّعَامُ خَبِزَ يَرُّ فِي يَوْمٍ قَرَّ عَلَى
حَمْرِ عَشْرِ مَوْسَعٍ سَمْنًا وَعَسَلًا . فَقَالَ الْحِجَازِيُّ أَطْيَبُ الطَّعَامُ خَنْسُ فَطَسٍ بَاهَالَةٍ
حَمْسٌ يَغِيبُ فِيهَا الْفُضْرُ . فَقَالَ النَّجْدِيُّ أَطْيَبُ الطَّعَامُ بَكْرُ سَنْمَةٍ مَقْتَبِطَةٌ نَفْسُهَا

غير ضمنه في غداة شبة بشفار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فك وأحفظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم نعمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدت عصيدة شقراء تحكي طرار الصبح في ثوب الظلام
تراها حين تبرز في ظلام كمرق الطرف في زمن قتام
كذي دل عليه معصفرات يدل على المشوق المستهام
فلما ان صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتمام
تقاصر دونها كفاي حتى كأن الدبس علق بالغمام
فدون السجن أطراف العوالي ودون النار بادرة الحسام
أ تلك عصيدة أم طرف سلى فليس يزور إلا في المنام
وقلت في سمكة طرية :

يقيض للمكتوب ماجر حتفه فجاز بنا في الغيظ شر مجاز
بعثنا اليه ينسر الباز فأنثنى إلينا بظهر مثل جوجو باز
فأطفأ نيران الطامة كأنها سحاب يسح الودق فوق عزاز
العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحر عن كل ناظر ولاكنها في حجبها تتخطف
أخذنا عليهم السبيل بأعين رواصد إلا أنها ليس تطرف
فجاء بها بيض المتون كأنها خناجر في أيامنا . تعطف

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يأمر
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مزرر^(١)

(١) في الأصل « مرز » وفي المقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عَجوة إلى صاعِ سمنٍ فوقها يستريح
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ تجمَع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انهُ حى آمناً مما تفيدُ وتجمع
فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤُه وانْ تكُ جوعاناً فذا يومَ تشبع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما لدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .
ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ بنهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبةً تسمى بحيثُ نصبحُ
والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقاً ومالم تكن فيه من البيتِ مغرباً

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصص والامم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ ،
(٢) كذا فى إسان العرب ، وفى الأصل « ما تجمَع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتُهُ
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهفف تمت محاسنُهُ
وكأنهُ والكأسُ في فيه
يقبلُ في داج من الليل كوكبا
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يد كرصفا
الخمر ورقتها وحبابها :

فاذا ما اجتليتها فهباءُ
ثم شجبت فاستضحكت عن جان (١)
يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونا
لو تجمعنَ في يدٍ لاقنيننا (٢)
في كؤوس كأنهنَّ نجومُ
دثرات (٣) بروجها أيدينا
طالعاتُ مع السقاةِ علينا
فاذا ما غرنَ يغرنَ فينا
لوترى الشرب حولها من بعيدٍ
قلت قومٌ من قرة يصطلونا
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أ كفِّ الندامى
أمدامًا فرطمُ لمدام
كنجوم تلوحُ في أبراج
أم زجاجًا سبكتُمُ في زجاج
وكانَ النجومَ والليلُ داج
نقشُ حُاج يلوحُ في سقف ساج
ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناصبي * فليس شيءٌ عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدرًا مع الليل طالعا
فرحتُ كأنني في مدار الكواكب
وليسَ بمرودٍ مع الصبح غارب
تطيبُ لك الصهباء من كف قاطب
وقد شابَ لينا بالشماس وإنما
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها . فصارَ في البيت للمصباح مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضنينا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يفلينا أراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحرى :

فأضأت تحت الدُّجْنَةَ للشر ب وكادت تضي للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبي خلى من الأحزان أو دغى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على نغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوته صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبته نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقى ويشرب من عقيق خليق أن يشبهه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم در نغره تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللؤلؤ الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بناتها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أقحوانِ
يلوحُ على مفارقتها حبابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجانِ
وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
الؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجانِ وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعي الفلامُ بها سحيراً فزاد على السكواكبِ كوكبانِ
ووافقتها بنجدٍ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجوانِ
وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماءُ ألبسها حبيباً كمثل^(١) جلاجلِ الجبلِ
حتى إذا سكنتُ جوامعها كتبتُ بمثلِ اكراعِ النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأُس سبأها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقّةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقِ حسبتُ حبابها عيونَ الدبا من تحتِ أجنحةِ النملِ
وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت تربي وأمرُ الليلِ مجتمعٌ صبحاً تولدَ بينَ الماءِ والذهبِ^(٢)
كأنَّ صفري وكبرى من فواقعها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ
وخطأه النحويون في قوله « كبرى و صفري من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
من كيتٍ كأنها أرضُ تبرٍ في نواحيه لؤلؤٌ مغروسُ
وقلت : راحٌ إذا ما الليلُ مدَّ رواقه لاحَتْ تطرُّزُ حُلّةِ الظلماءِ
حتى إذا مُزجتْ أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كذا » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تَبَيَّنَتْ لِي اللِّذَاتُ مُعْقُودَةٌ الْعَرَى إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ أَحْوَرُ عَاقِدُ
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحْلُهُ كَثُوسٌ لِأَعْنَاقِ اللَّيَالِي قَلَائِدُ
وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأسِ أوَّلَ فِجْرِهِ ساقُ علامةٍ دِينِهِ فِي خَصْرِهِ
فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَسِيمِهَا مِنْ نَشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّمتْ عَنْ ثَغْرِهَا فَحَسْبَتْهُ مِنْ ثَغْرِهِ
وَقَالَ : لَدَاءٌ فِيهَا كِتَابَةٌ عَجَبُ كَمَثَلِ نَقْشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتِ
وَقَلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَقِيقُ فِجْرِي وَاطْفَأُ الدُّرُّ عَلَيْهِ فُطْفُوحُ
نَصَبُ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا شَبَكَ الْفَضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرْحُ
وقال ابن الرومي في لطافتها :

لَطْفَتْ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً فِي الْجَوْثِمِ مِثْلَ شِعَاعِهَا وَنَسِيمِهَا
وَمِنَ الاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ : فَأَضْحَكَ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ *
وَقَلْتُ : وَشَرَابُ طَوِي الزَّمَانِ فَاكِئِي نَفْسَ الْوَرْدِ رَقَّةً وَنَسِيمَا
إِنْ يَكُنْ بِالْعُقُولِ غَيْرُ رَحِيمٍ فَهُوَ بِالرُّوحِ لَا يَزَالُ رَحِيمَا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْيَدِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدْرَعُ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ لَهُ فَرْدٌ كَمِنْ الْجَلْنَسَارِ
وقال السري في معناه :

وَبَكَرَ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بِكَرَةً فَكَانَتْ لَنَا وَرْدًا عَلَى خَيْرِ مُوَرِّدِ
إِذَا قَامَ مَبِیْضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمْتُهُ يَسْعَى بِكُمِّ مُوَرِّدِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَانِي سَلَفَهَا رَهِيْفُ الثَّنْيِ وَاضِحُ الثَّغْرِ أَشْنَبِ
إِذَا أَخَذْتُ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا ^(١) رَأَيْتُ الْاَلْبَجِينَ بِالْمَدَامَةِ يَذْهَبِ

(١) فِي دُبُونِ الْبَحْتَرِيِّ (إِذَا ذَكَرْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا) .

وقلت: وقد شغلت كلنا يديه بقهوة فقلت أرى قدمين أم قدحين
 كأن خيال الكأس فوق ذراعه غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسعى إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبين مُجفونه كأسان
 وتناسبت فيها بغير قرابة كفٌ المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقها وصفائها قول بعضهم:

رَقُّ الزُّجاجِ وراقتِ الخمرُ وتشابها فتقاربَ الأمرُ
 فكأنها خمرٌ ولا قدحٌ وكأنَّه قدحٌ ولا خمرٌ
 وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها:

وكأسٌ تحجبُ الأبصارُ عنها فليسَ لناظرٌ فيها طريقُ
 كأنَّ غمامةً بيضاءَ بيني وبين الرِّاحِ تهرقها البروقُ
 وقلت: وندمان سقيت الرِّاحَ صرفاً وجنحُ الليلِ مرتفعُ السجوفِ
 صفتُ وصفتُ زجاجتها عليها لمعني دَقٌّ في ذهنٍ نصيفِ
 وليس هذا التشبيه بالختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج مايرو
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيتُ على شرابها فكأنهم يجدون رَياً من إناءٍ فارغِ
 وقال غيره: وزنا الكأسَ فارغةً وملاى فكان الوزنُ بينهما سواءَ
 وقال ابن الرومي:

لطفٌ فقد كادت تكون مُشاعةً في الجوِّ مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت: حملتُ بخنصرها إناءَ مدامةٍ صفراءُ تلمعُ في زجاجِ أقر
 فكأنها واللحظُ ليس يحورها شمسُ النهارِ تحتمتُ بالمشتري
 ومن أجود ما قيل في الأبريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقد ليس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَأَنَّ رَقَابَهُمْ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عَظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيقَنَا سَلَبَ الْغَزَالَةَ جِيدَهَا وَحَكَى الْمَدِيرُ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرُ وَيَنْسَبُ إِلَى بَشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاولَ يَاقُوتًا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيءٌ وَالْجِيدُ طَائِرٌ ، وَأَجَازَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَجْزِهِ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحَّكَ فِي الْكَأْسِ أَبَارِيقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَبْكِينَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعْقَدُ فِي الْكَأْسِ تَلَائِينَا
وَأَوَّلُ مَنْ شَبِهَ الْإِبْرِيقَ بِالْأَوْزِ لَبِيدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَرَّ :
تُضَمَّنُ مُبِضًّا كَالْأَوْزِ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَّوْا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرُّمَحُ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزُّبْقِ عَنَا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إِوزٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عَوَجُ الْخَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ ^(٢) :

سَيَفْنِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَعلُقْ بِهَا وَضْرُ الزَّبْدِ
مَقْدَمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رَقَابَهَا رَقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدَمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ السَّكُوزِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

قَرَارَتِهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهًّا تَنْدْرِهَا بِالْقَسَى الْفَوَارِسُ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَعْلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ لِابْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ
الْجَوَادُ الْفَارِسُ الْفَتَاكُ الْمَعْمَرُ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ الشَّاعِرِ الْمَطْبُوعِ الْمُسْرِفِ فِي وَصْفِ الْخَرِّ .

فلخمر مازَّرتْ عليه جيوبهم وللاء مادارتْ عليه القلائسُ
وقال السرى الموصلى :

كَانَ الكؤوسَ وقد كَلَّتْ بفضلاتهنَّ أكاليلُ نور
جيوبٌ من الوشي مَزْرُورَةٌ يلوحُ عليها بياضُ النحور
فجئتُ به في بيتٍ وقلت :

وبيضٌ تهاوى في مَزَعَفَةٍ صفر وهبتُ لها قلبي وأخدمتها فكري
فدارتْ بأقداحِ كَأَنَّ فضولها سوائفُ تبدو من معصِفَةٍ حمر
وقال السرى أيضاً :

وصفراءُ من ماء الكروم شربتها على وجهِ صفراءِ الغلائلِ غضةٍ
تبدَّتْ وفضلُ الكأسِ يلمع ساطعاً كأثرَجةٍ زينتْ باكاليلِ فضةٍ
وقال الناشئ : ملوك ساسانَ على كأسها كأنها في عزِّ سلطانها
فيخمرُها من فوقِ أذقانها وماؤها من فوقِ تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء . كرخية كأنها في كأسها تنقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد
ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجعت الغيم السماء كأنها يمدُّ عليها منه ثوبٌ ممسك
ومجلسنا في الجوّ يهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يبكي . يضحك •
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديبٌ بالعظام كأنه فيضُ النعاسِ وأخذُه بالفصل
عبثتْ أكَفَهُمْ بها فكأنما يتنازعونَ بها سخاب قرفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرًا وشاصيات كأنها رجالٌ من السودان لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدب ديبًا في العظام كأنه ديب نمل في نقأ يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الحر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرق على ترائها كأن مجراه قتل خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج اليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءت من يد خمار بطيبتها صفراء مثل شعاع الشمس تقدر

فأرسلت من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الابريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب

لما واجها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب

وقلت : قد بزل الدن فقومي انظري زنجية تقتل خلخالا

واسقنيها واشربي واطربي وجرري في الهواء أذيالا

تنعمي ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مانديمي على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذيل حتى كأني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنا اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحتُ فأنى ربُّ الشوبهةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس
 لنسيمها في قلبٍ شاربها روحُ الرّجاء وراحة النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الاناء خضابُ
 صريع مدام والتدامي يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب

وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القتي لو كان يعرف ربّه وقيم وقت صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحدادُ
 وأبيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد
 وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الاخطل « جعلت أجر الذيل مني كأني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قتيب : ^(١)

جَدِّدِ الذاتِ فالיום جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
انى ان أمكن يوم صالح انَّ يوم الشرب لا كان عتيب
وقال ديك الجن ^(٢) :

تمتع من الدنيا فانك فانى وإنك فى أيدي الحوادث عانى
ولا تنظرن اليوم فى لهو غد ومن لغدٍ من حادث بأمان
فانى رأيتُ الدهر يسرعُ بالغنى وينقله حالينِ يختلفان
فأما الذى يمضي فأحلامُ نائم وأما الذى يبقى له فأمانى
ونحوه قول عمران بن حطان ^(٣)

يأسفُ المرء على ما فاتهُ من لباناتٍ إذا لم يقضها
وتراهُ فرحاً مستبشراً باتى أمضى كأنَّ لم يمضها
عجباً من فرح النفس بها بعد ما قد خرجت من قبضها
أنا عندى ذاق أحلام الكرى اقرب بعضها من بعضها
وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها سراعٌ وأيامُ الهموم بطاءُ
وخلَّ عتاب الحادثات لوجهها فانَّ عتابَ الحادثات عناءُ
تعالوا فستقوا أنفساً قبل موتها لىلى ما يأتى وهنَّ وراءُ
ونحوه عجير السلولى ^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

علانى إنما الدنيا عللٌ واتركانى من عتاب وعذل
وانشلا ما غبر من قدرى كما واسقياى أبعد الله الجلل

(١) فى الاصل (ففس) وهو تصحيف . (٢) نسبها فى الأمالى لسعيد بن حميد باختلاف
فى البيت الثانى . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامى مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

هاقر الرَّاحَ ودع نعتَ الطللِ واعصِ من لأمك فيها وعذْلُ
غادها واسعَ لها واغربها وإذا قيلَ نصاباً قل أجلُ
إنما دنيالك فاعلم ساعةً أنتَ فيها وسوى ذاك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصلُ خليلك إنما الدُّنيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل السُّمُكروه من قبلِ النزول
بادر بما تهوى فما تدري متى وقتُ الرَّحيل
وارفض مَقالةً لاثم إنَّ الملامَ من الفضول

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :

أستغفرُ اللهَ لذنبي كله قاتلُ إنساناً بفـيرٍ حله
وانصرمَ الليلُ ولم أصله والسكرُ مفتاحُ لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كفٍّ ظبيٍّ كأنما تناولها من خدِّه فأدارها
فظلتُ بأيدينا تتعمعُ روحها وتأخذُ من أقدامنا الرَّاحُ نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا البدُّ نالتها بوترٍ توقَّدتْ على ضعفها^(٣) ثم استقادتْ من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يمدُّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،

كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسناء مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطيئة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضعفها) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بِدَرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبٌ
 وقلت : وطاعنى الفلامُ بها سحيراً فزادَ على الكواكبِ كوكبان
 ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقدمر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكَأَنَّهُ وَكَأَنهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرْنٌ يَدُورُ عَلَى النَجُومِ بِأَشْمَسٍ
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْجَبَابُ لَأَلَى وَالرَّاحُ تَبَرُّهُ وَالرُّجَاجُ زَرْجِدٌ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمَسَاوَاهُ الْكَلَامُ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ
 فشبهه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنَى مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَسْكُمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنْ نَدَى وَكَأَ عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وَمَازَلْتُ خَلَاً لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بِدُورٍ يَسْتَحْشُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يَحْدِثَنَّ فِيكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا يستطيع الكؤوس أن تزيده تكراً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم :

لَقَدْ عَلِمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنَّنِي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانِ غَيْرَ جَهُولٍ
 فَإِنْ سَاءَ قِيَامُهُمْ مَقَامُ غَفْرَتِهِ وَلَسْتُ إِلَى مَسَاءِهِمْ بِمَجُولٍ
 قوله * لقد علم الريحان والراح اننى * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليسَ من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فأدرى ادمانهُ بالحلوم
قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسخطه عند ذاك قولُ النديم
إلا أن في هذين البيتين عيبن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولستُ له في فضلة الكأسِ قائلاً لأصرفهُ عنها تحس وقد أبى
ولكن أحبيهِ وأكرمُ وجهه وأشربُ ما أبقي وأسقيه ما شتهى
وليسَ إذا مانام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطام
لم يكن بيننا رَضاعٌ ولكن صيرت بيننا المدام رَضاعاً
وهو من قول الناصبي : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذِكْرُ الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقماً لا أراه لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه رَحَا اللذاتِ في الزمان القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كلبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبة واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس تدأب لمرضاتي ^(١)
 وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ الكريم دونَ النديم الكريم
 فتخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حمرةً لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 غفدها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخلد جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائق كناظرِ الخمر وأقحوان كشتور الحور
 ونرجس كأنجم الديجور

فشبّهت ما يعتري بياض العين والخالق من الحجرة عند الخمار مع سواد الخدّة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى اذا ما ملكتها أدات لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها وتحسر حتى ما نقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكّت وجنة العشوق صرّاً فأسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل الـمـها أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كثناناً وأمواجا
وقضباناً من الفضّة قد أنثرت العاجا
ويسترن من الأُشـا ر في الدّيباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن ففنينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتا ر امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا
ومن جيد ما قيل في بحّة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشهى في الفناء بحّة حلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشو ق فضاهى به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنَّبات كحبي للمبادئ موصولة بالمشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدة ورُكود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على العودِ غناها
وقلت : وهيجتُ لى من شوقي ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتار غناها
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ما غبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغنٍ ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذراء
لا يمدُّ الصوت فيه نفور لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنغى كأنها لا تنغى من سكون الأوصالِ وهى تجيد
مدٌّ فى شاورِ صوتها نفسٌ كما فى كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لاثمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة فى كلِّ أصواتها لا كاتى تندرُ فى الندرة
وقول الآخر :

إذا وقَّع بالعود زمرنا بالكؤس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :
فطلتُ أشربُ بالارطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبى نواس :

فى مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ذلك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشى بد يياض الغلالة من فرجه
ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستمجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفا وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :
أست ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ مُراقُ
وقد رقَّ جلباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايبُ الغيوم صفاق
وعندي من الريحانِ نوع تحية وكأسٌ كرقاق الخلوِّ دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
لنا أبداً من ثره ونظامه بدائعٌ حلّى مالهنَّ حقاق
وأغيدمهنَّ على صحن خده غلائلُ من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فهنَّ له دونَ النطاق نطاق
هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبتُ الأبصار فيه كأنَّ عليه من حديق نطاقا
وقد مر ، ويدت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :
وقد نظم المشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وخناق
وغرفتنا بينَ السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوارٌ من الهند سقفها خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)
وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافي .
أعاجم تلتذُّ الخصام كأنها كواعبُ زنج راعهنَّ طلاق

(١) في ديوان السري « على الندى » . (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان تخببت
 مواصلة الورد في شجراته
 فزرقية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرياح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرخ شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وإباق
 مفارق إلف حان منه فراق^(١)
 حميم إذا فارقتهم وغساق
 وبعث فيه العقل والدنيا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن يبيكنا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يلدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسحبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبة
 فما سى ؟ سماء ضاحكة منتحبه
 طلبت أقصى أملى منه فنلت الطالبه
 بسيدن ارتقيا منقبة فمنتقبة
 واتفقا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشرها عذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم زخر زخر من كرمه في عنبه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

فى مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كلحظة مخلوسه وقبله مستلبه
 وقلت : عندنا طيب وريحاً ن ونقله وغناء
 ومن المشروب لونا ن شموله وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طبيخه وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلمان صدق أدباءه أرباء
 أرسلوا فى الصحن ماء فكان الصحن ماء
 وانشوا للحسن عدواً فحواشيه رداء
 فارشف الهم غناء أنما الهم بلاء
 واغتنم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو يطويك ويمضى ليس للدنيا بقاء

و من المشهور فى صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّخ وانصرفوا والرّاح تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم فى صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كالساكنين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّلوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ
 ومما يجرى مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كاهيا
 وإن أقر الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا
 ومن أحسن ما أنشد فى الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة من الندى إلا أنها ليس تهطل
وعلى بماء الورد خيش كأنه على جلده ثوب العروس المصنل
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومقوم مثل القضيبي مهفف ومعوج كالصولجان محبل
ومفرج من خده ومكفر ومخلق من شعره ومسلسل
وبياض وجه بالصباح مقنع وسواد فرع بالظلام مكلل
علقت أباريق المدام بكفه كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً مثل الغمامة غير أن لم بهل
فكأتما الكساست في حافته شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو الله من ابتدا العين في اغنائها

أحلى وأشهى من منى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصفاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصفوا نحوها الأذان حتى كأنهم وماناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حمدت لك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها (١) ومضى كراها

سمعت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسى من عناها

ومسمعة تفوت السمع حسناً (٢) ولم تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفت وشاقت ولو يستطيع حاسدا فداها (٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأننى أعمى معنى بحبِّ الفانياتِ ولا يراها
وكان ينبغى أن يقول (فداها حاسدا) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسدا)
معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر ^(٢) بمنطقها فإ
ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحرين وأكلم
ولم أرَ مثلى شاقه صوتٌ مثلها ولا عرياً شاقه صوتٌ أعجا
ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيهم إياه بالولد في حجر أمه
وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :
فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان
طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركتْ له أذنًا من الآذان
ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتْ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسنَ أن يعربا
تدغدغُ في مهلِ بطنهُ فتسمعنا مضحكاً معجباً
وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :
شدتْ فجلتْ أسماءنا بمخفف يحدثها عن سرِّها وتحديثه
مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدثه
فللنار منه الزيرُ والأرض وللريح متناهٌ وللماء مثله
وكلُّ امرئٍ يرتاحُ منه أنفمة على حسبِ الطبع الذى منه يبعثه
شكاً ضربَ يمناها فظلتْ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعته
فأبرحتْ حتى أرتنا مخارقاً يجاذبهُ فى أحسن النقر غثته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالى من فحول المخضرمين والمعبرين .
(٢) أى لم تغفر .

وحتى حسبت البابليين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفته
 وأجود ما قيل فى اتفاق الضرب والزمير قول هرون بن على المنجم :
 غصن على دعص نقا منهاى سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجج الا كفال
 يأخذنَ من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كلَّ سال بصرع كلَّ فانك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى فى حُلّةٍ تجرُّ من فضل أذيالها
 وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحونَ بأشكالها
 لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانهُ مثل خلخالها
 فظلتُ تطارحُ أوتارَهُ باهزاجها وبأرمالها
 وتعملُ جساً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يغنى لكل إنسان بما يشتهيهِ . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك انى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطاً من عمل زرلى فأهدى اليه عوداً وكتب
 اليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل فى حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشي .
 * وكان يمتاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكت متطبياً يجيلُ يديه فى مجسِّ عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأنَّ الطيبَ يحسُّ بيدٍ واحدةٍ وكذلك الضاربُ فليسَ لذكرَ اليدينِ وجهٌ .
 ومن جيدٍ ما قيلَ في صحةِ عبارةِ العودِ عن الغناء قولُ ابنِ أبي عونَ :
 تناجيكِ بالصوتِ أو تارهُ فتوفيكِ ألسنهُ أحرفُ
 وأبين منه قولُ الناجمِ :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت: رُبَّ ليلٍ كسالكِ ثوبَ نعيمِ بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديمِ
 وكؤوسِ جرَّتْ وراءَ كؤوسِ وأعانتْ على طريقِ الهومِ
 ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيمِ في يدي مطربِ كأَمِّ الفطيمِ
 وسموا صدرهُ بعاجٍ وذبلَ فزهتُ محاسنُ التوسيمِ
 مثلَ أرضٍ تحبَّتْ بأفاحِ أو سماءٍ تسكَّلتْ بنجومِ
 ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ ومُحمرِ مثلَ أطرافِ فرحةٍ ونعيمِ
 ووسابنِ لانيجولٍ عليه كخلائيلِ ماردٍ وظلومِ
 أحمرِ الزيرِ أسودِ المِ أحوى هلْ رأيتمِ جداولَ التقويمِ
 ومن جيدٍ ما قيلَ في سرعةِ الضربِ والجلسِ قولُ كشاجمِ :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركهُ أناملها كأنَّ الهواءَ يفيدُهُ نطقاً
 جسته طامئةٌ بحالته جسَّ الطيبِ لمدنفٍ عرقاً
 فحسبتَ يَمناها تحركهُ رعداً وخلتَ يمينها برقاً
 وقال بعضهم في رقصِ :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً ويعلوانه
 كأنَّ أفميينَ تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالةِ الحمارِ بمعاودةِ الشربِ قولُ الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقفاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلي بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوى الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوى زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبتته لا ينفع الدهر إلا وهو محوم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين جذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملاّن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنسن بالطين
مكالحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوى الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الاوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائلٍ هيَ العرىَ مقرورٌ بها كلُّ لابسٍ
 مشعشة مرهء ما خلتُ أنى أرى مثلها عذراءَ في زىٍّ طانسٍ
 المعنى جيد وفي الالفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراوق :
 كأنما للراوق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطتُ أنيابه
 وفيه : سماء لاذ قطرها رحيق رَحَب الذُّرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيقُ حتى اذا ألهبها التصفيق
 صمنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجلِ القصيرِ
 بالكفين غنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
 أبو حكيم فن حكمت كُأسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمتَ بضعفِ سكرى لما سقيتني إلا بمسعط
 بحسبك أنَّ خماراً بجنبى أمرُهُ يبابه فأكادُ أسقط^(٢)
 ولا بن الرومى في نبيذ حامض :
 قد لمعمرى اقتصصت من كلِّ ضررٍ كان يجنى عليك في رغفانك
 قد ردَدناه فأتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخلُّ من إخوانك
 أضرستنا حوضه فيه تحكى رعدة^(٤) تعتريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير إنما يشربُ الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراوق : ناجود الشراب الذى يروَّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالبي في النهاية لابن لنكك باختلاف في بعض الالفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومى (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة) .

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ الجاهلُ ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقلِ
رحلتُ عنا من كرومِ بابلِ فبتُّ من عقلِي على مراجلِ

وقال غيره في نبذ الدبس :

علني أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو ترائي وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب

وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمار مغمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو منتصب كأنه صولجان بلور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود

وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيده نصف سائر
أنطقته يدا فتى فأن اللحظ ساهره
فحسكي عن ضميره ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعزفة :

معلقة الأوتار صخابة لها حنين كحنين الغريب
مكسوة أحشاؤها حلة بيضاء من جلد غزال ربيب
كأنما تسمة أوتاره نصبن أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهافت وبراها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا تبصار
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول ﴿

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصاييحُ رهبان تشبُّ القفال (١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليل والنجوم كأنها قلادة درّسل عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي
المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كأنّ سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداه تفتح بينها نور الأقاحي
إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجوم غائر غلالة ليل بالصباح مطر
كأن بياض النجم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبر
وقلت : كم سرور زرعت بين الندامى وهموم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كما جيلوح في ابنوس
وقلت : بليل كما ترفو الغزالة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكب زهر^٣ وصفر^٤ كأنها قبائع منها مذهب ومفضض
وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبعة
مفضضة والأصفر والأحمر بالذهبية والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتم المقابلة ويخلص
من تكلف « تلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلم الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسنَ الناشئُ القولَ في اشتباكِ النجومِ والتفافها حيث يقول :
وردت عابها والنجوم كأنها كتائبُ جيشٍ سوّمتْ لكتائب
وقلت : وأنجم كزبرج في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
والخور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضَ أنواء الوشاح المفضل
وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدى لك عرضه أى جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماءٍ محلقي
وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكٍ فتبدداً
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة واسكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد
تبدو الثريا كما غرِ شره يفتحُ فاهُ لا كلَّ عنقود
والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أبيض . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسا ربها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) اذا ذقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فخبرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقي وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجوم مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصدفت إلى الغرب الثريا بوالد لو يسلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمت بين النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلص الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حال انها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بَفَنُونَ مِنْ غَنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجْحُونَ
وَالثَرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْقَائِلَ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مَنْخُلٌ * وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقَنِيهَا وَالظَّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحْوَ الْمَغَارِبِ تَرْكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرَ أَوْ لُجَامٍ مَفْضُضٍ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمٌّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ بَبْدُو الصَّبْحِ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوَضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْفِرُ تَحْتَ خَضِرَةِ شَارِبٍ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرِ مَفْجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفٌّ إِلَى نِصْفِ دَمَلِجٍ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ الْإِفْقِ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَّمَامٌ مُنْتَقِبٌ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعٌ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مُقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ جُفْدِي وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْحُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْمَعُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمٍ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدِ يُلُوحُ فِي التَّصَوِّبِ وَالتَّصْعِيدِ
كَشَرَفَاتِ فِدَنِ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قَمٌّ بِنَظَرٍ دُهِمُومَ بَكَاسٍ وَالثَّرِيَا لِمُفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجَرَّةُ فِيهِ كَسَيْبٍ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوى الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى مُدْمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثَّرِيَا
ورداءُ الدُّجَى لَيْسَ دَرِيسٌ يَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طِيَا
وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثَّرِيَا وَالْبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَحْيَا بَنَرَجْسٍ مَلَكٌ
أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلَ كَبِّ الْغَنَوَى ^(١) :
وقد مالت الجوزاءُ حتى كأنها فساطيطُ ركبٍ بالفلاةِ نزول
ولوشبها بفسطاط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وقد هوى النجمُ والجوزاءُ تَبَعَهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحٍ جَرَّهُ رَامِحٌ
وَقَلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ يَحْكِي شُرُوقَهَا طِفْوَ غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبٍ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبَةٍ
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ طِبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطُّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْنُوهُ بِدُرَّةٍ وَجْهَانِهِ
وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنْ سَرَاةٍ ^(٢) حَصَانِهِ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتَرُ قَوْمٌ أَخَذُوا وَتَرَمَ بِقَطْعِ بَدْنِهِ

(١) : أي غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سراة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما ناءت بها الجرباءُ كادت تنثنى
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي ألفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلباب داج كفرع الخود أوعين الغزال
كان كواكب الجوزاء فيه زميلة ^(١) مفجرة السبزال
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلل
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في المساء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوق الدكرى واعترضت وسط السماء الشعرى
كانها ياقوتة في مدرى ما طول الليل بسر مررى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من السكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرمح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للسارى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب
وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جرير العود :
أراقب لمحا ^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف ^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدة المزود ^(٤) وهو من الانجم في محيد
حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جرير العود « أراقب لوحاً »

(٣) في ديوانه « يطرف » . (٤) أى المزبور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كَأَنَّ سَهِيلًا وَالنَّجُومُ أَمَامَهُ يَمَارِضُهَا رَاعٍ أَمَامَ قُطَيْعٍ

أَجُودَ مَا قِيلَ فِي النَّسْرِ الْوَاقِعِ قَوْلَ الْحَمَاقِي :

وَرَكِبَ ثَلَاثَ كَلَامَاتِي تَعَاوَرُوا دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى أَوْ مَضَتْ سَنَةُ الْبَدْرِ
إِذَا اجْتَمَعُوا سَمِيَّتُهُمْ بِاسْمٍ وَاحِدٍ وَإِنْ فَرَّقُوا لَمْ يَعْرِفُوا آخَرَ الدَّهْرِ
وَهُوَ مِنَ الْغَرِّ الْمَلِيحِ . وَمَنْ جِيدَ مَا قِيلَ فِي الْفَرَقْدَيْنِ قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِ :
وَرَنَا إِلَى الْفَرَقْدَانِ كَمَا رَأَيْتُ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أَسْوَدٍ
وَفِي الْحِجْرَةِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

كَأَنَّ الْحِجْرَةَ جَدُولُ مَاءٍ نَوْرُ الْإِقَاحِ فِي جَانِبَيْهِ

وقال ابن طباطبا :

مَجْرَّةٌ كَلَمَاءٍ إِذْ تَرَقَّرَا شَقَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ بَرْدًا أَزْرَقَا
لِبَاسِ ثِكْلِي وَشِبْهَا الْمَشَقَّقَا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كَأَنَّ الَّتِي حَوْلَ الْمَجْرَّةِ أَوْرَدَتْ لَتَكَرَّعَ فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَيْبٍ
فَوَجَدْتَهُ مُتَكَلِّفًا جَدًّا فَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

إِلَى كَمَا نَفَضَ الْغَرَابُ جَنَاحَهُ مَتَّبِعَ الْأَعْلَى بِهِمِ الْأَسْفَلَ
تَبْدُو السُّكُوكُ أَوْ كَبُّ مِنْ فَنُونِ ظِلَامِهِ لَمَعَ الْأُسْنَةُ مِنْ فَنُونِ الْقَسْطِ
وَتَرَى الْكُوكُ أَوْ كَبُّ فِي الْمَجْرَّةِ شَرَّعًا مِثْلَ الظُّلُمَاءِ كُورًا عَا فِي جَدُولٍ
وَقُلْتُ : تَبْدُو الْحِجْرَةُ مَنَجَّرٌ ذَوَائِبُهَا كَلَمَاءٌ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَايِمٌ يَنْسَابُ
وَزَهْرَةٌ بَازَاءُ الْبَدْرِ وَاقِفَةٌ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ يَنْحُوهُ نَشَابُ

أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْهَلَالِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ :

كَأَنَّ ابْنَ مَرْزَتِهِ جَانِحًا قَسِيطٌ لَدَى الْإِفْقِ مِنْ خَنْصَرٍ

أَيُّ كَأَنَّ ابْنَ مَرْزَتِهِ وَهُوَ الْهَلَالُ لَدَى الْإِفْقِ قَسِيطٌ مِنْ خَنْصَرٍ وَالْقَسِيطُ الْقَلَامَةُ

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذهُ ابن المعتز فحسنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كاذٍ يفضحه مثل القلامة قد قدّت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظُ منه ناظر ذات أشفار
 كأنّ الذي أبقي لنا منه أفقه قصيصُ سوارٍ أو قراضةُ دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
 إذا الهلالُ فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينعته
 كهامة الاسود شابت هامة

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
 وقد بدا فوق الهلال كرته كهامة الاسود شابت لحيته
 ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر
 وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أثقلته حمولةٌ من عنبر
 وقال : في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدّى مثل وقف العاج
 وقلت : لست من عاشق أضلّ السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً
 برد الليل حين هبت شمالا فجعلت الصلاء فيها الشمولا
 في هلال كأنه حبة الرمل أصابت على البقاع مقبلا
 بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا
 وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين
 وكأنّ الهلالَ مرآة تبرّ تنجلي كلّ ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :
 جلب المجاعة ضامرٌ بنخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلٌ ولكنْ أمرُهُ عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلًا
قد كانَ حمارًا، ليلتين فلم ترَ مثله طفلًا ولا حمارًا
ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلةً كهلاً

وقال السرى :

قم يا غلامُ فهاها في كأسها كاللنارةِ في جنى نسرين
أومارأيت هلالَ شهرِكَ قد بدا في الأفقِ مثل شعيرة السكين
جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهِلالُ مشنفٌ بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
كصحيفةٍ زرقاءٍ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهب
جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زَيْنُ العيون هلالُهُ فرمَقَنَ منه حاجباً مقرونا
يبدو ويبدو النجمُ فوقَ جبينه وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقُطُ نونا
وقد استحسنت للعلوى الأصفياني قوله :

لاحَ الهلالُ فَوَيْقَ مغربه والزُّهرةُ الزَّهراءُ لم تغب
نهوى دوين مغيها فهوتُ تبكى بدمع غيرِ منسكب
فكأنها أسماءُ بأكية عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةَ والهوى مُتضرِّمٌ والبدرُ في أفقِ السماءِ مُغرِّبٌ
فكأنها فيه رداءٌ أزرق وكأنه فيها طرازٌ مُذهبٌ

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كأنَّ الهلالَ الشهرَ قطعة دملج تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
تري الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء بمقمره كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذاذ من كذب والدهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لوتلدى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفة العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبت كما سر أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شذ
تعرزه شررات البعوض في قمر مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه)
فن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علافي^(٢) وأبيض صارم وأعيس مهري^(٣) وأروع ماجد^(٤)
فأخذ ابن المعتز ونقله إلى ماهو أطرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا

جلباب الشباب أطرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة :

(٢) أحم : أسود يعنى الرجل ، علافي : منسوب الى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعنى بعيره ، والمهري منسوب الى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي (١).

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواءَ صحيفاتُ العيونِ وعورها
 كأنَّ لنا منه ييوئًا حصينةً مسحَ أعالِها وساجَ كسورها (٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألفت على الأرض
 أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعرف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمنى مسودة الوجه منسوباً إلى الفحم
 سدت على نظري الرائي منهجه حتى تعارفَت الاشخاصُ بالكلم
 لا أسأمو الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سأم
 أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأينقي الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه (٣) قد اكتحل منه البلادُ بأحمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وحنح الليل مكتحلٌ بقرار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأحمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لاتدغني لصبوح إن الغبوق حبيبي
 فالليل لون شبابي والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً أعالِها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :

عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخُّ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْخِتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَا طُخُّ جَوَانِبِهِ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ * كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فَقَالَ :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَاهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَوَقَعَ بَعِيدًا عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعَاهَا شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّيْهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا

وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رُؤُوسِهِمْ يَخْوَضُونَ ضَحَضَاحَ الْكَرَى وَبِهِمْ قَرْهُ
عَلَانِهِمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَرَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاqِبِهَا قَمَرُ
إِلَى أَنْ تَعْرِى النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حُومَ^(٢) النَّسْرُ
وَقَالَ دِيكُ الْجَنِّ :

سِرْضِيكَ أُنَى مَسْخَطِ فَيْكَ كَأَشْجَاءِ وَمَرْتَقِبُ هَوْلَانٍ مَوْتٍ مَرْقَبُ
وَجَانِبِ لَيْلٍ لَوْ تَعْلَقَ قِطْعَةٌ بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَا تَنْتُ وَهِيَ غَيْهَبُ
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ مُنَوَّبًا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهُوَ مُحْرَقُ
وَصَبَحْنَا صَبْحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْرِقُ
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

نَخَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءَ مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمًا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَبِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَبِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ تَصْحِيفُ صَحْحَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمَعْتَزِ (حَلَقُ) .

ومن أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ مٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :
 وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتٍ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلُ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرَوْضَاتٍ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لانه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالمن يشحذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاءارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن :

أقولُ وجنحُ الدُّجَى ملبِذُ وللَّيلِ في كلِّ فجٍّ يدُ
 ونحنُ ضجيجانُ في مسجدٍ فله ماضنُ المسجدِ
 أياليلةُ الوصلِ لا تنفدى كما ليلةُ الهجرِ لا تنفدُ
 ويأغدُ إن كنتَ لي راحماً فلا تدنُ من ليلى ياغدُ

وقال السري :

وشرُّ الصبحِ عنا الليلُ فانضحت سطورهُ البيضُ في راياته السودُ
 وقلت : ليل كفرع الخود تخلفه ضحى زهراءُ مثل عوارض الزهراء
 عبت بأفاس الرياض كأنما نفص الرقيب غلالة الدلاء
 وقلت : والليلُ يمشي مشيةً الوئيد في الخضرِ من لباسهِ والسود
 والصبحُ في أخراه ثانی الجيد

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وليل كوج البحر ^(١) أرخى سدوله على أنواع الهوم ليتلى

(١) أى كوج البحر في شدة ظلمته .

قلْتُ له لما تَمَطَّى بصلبه ^(١) وأُردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييغاً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :

على أنَّ للعنينِ في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقعاً والتسكف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والسكر اهتافاً ظاهرة .
 وقال ابن الدمينه في معنى قول الطرماح :

أظُلُّ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليلِ جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلى الليلِ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ .
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) بآيب
 وصدر أراح الليل عازب هم تضاءف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل

« جبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما لكنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدِّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلص أشيب
فأزدادُ فى جنح الظلامِ صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذلك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنّى على ظلماء وجارا
قتهارى أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالتفرُّقِ صبرى فأعزنى لمسا عراني اصطبارا
ويستجد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبحِ راحةً لمحَبٍّ ومع الليلِ ناشاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسمٌ وفي الليلِ همى بالتفرُّدِ أطول
وتعنى بعض المنقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا ردّاً وروحات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصبحُ فيها باطلُ أزهقه اللهُ لحقِّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلةِ الهجرِ وساعاتِ العذل
 موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرجُ منها من دخل
 وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 مالمس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ✓ ويوم كظلِّ الرُّمَح قصرَ طولهُ دم الزَّقِّ عِنا واصطكك المِزاهر
 وقال البحتري :

وقاسينَ ليلاً دونَ قاسانٍ لم تكد أواخرُهُ من بعد قطريه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلتْ عليه ليلَةٌ أرحبُها إذا ماصفا فيها الغديرُ تكدرا
 بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها ^(٢) حينَ بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
 والآن ليلي من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتبدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
 لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تعول
 ليلي كما شاءت قصيرُهُ إذا جادتْ وإن ضنت فليلي طويلُ
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنْ نجومَ الليلِ ليستْ تغور
 ليلى كما شاءتْ فانْ لم تَزُرْ طالَ وإنْ زارتْ فليلى قصير
 إلا أن يئته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي السكفاة يقول
 لا بُدَّ لي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهمي وهمتي جُرجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبداً أنا نائمٌ عنك عَداً
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدرِ ما ألقى مسٌّ من الوَجْدِ أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدهم حَرُونُ
 أجيلُ في صفحته عيناً ما تتلاقى لها جُفون
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حَدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيْتُ النهارا
 وقد أنبأ بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيفُ الم
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الاكوار والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينع *
 وقال بشار :

لخدَّيك من كفيك في كلِّ ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبِت الليل مشتجرا * والاشتجار
 وضع اليد على الخد والاعتماد عليهما وهو جلسة المتفكر :

نبئتُ نراعى الليلَ نرجو نفاذهُ وليس لليل العاشقينَ نفاذ
وقال : خليلي ما بال الدُّجى لا تزحزحُ وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
كأن الدُّجى زادت وما زادت الدُّجى ولكن أطالَ الليلَ همٌّ مبرِّح
وقال دبك الجن :

من نامَ لم يدْرِ طَالَ الليلُ أم قصرا ما يَعْرِفُ الليلَ إلا عاشقٌ سهر
وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول في طول الليل وهو :
كأنَّ نجومَ الليل سارتْ نهارها ووافَتْ عشاءٌ وهى أنضاءُ أسفار
فخيمينَ حتى تستريحَ ركابها فلا فلكٌ جار ولا فلكٌ سارى
وذكر خالد الكاتب ^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال :
لستُ أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرَّغتُ لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى
وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
وطولتُ ليلى لو دريتُ بطوله ولكنه يعضى لما بى ولا أدري
وقال بشار :

طالَ هذا الليلُ بل طَالَ السهر ولقد أعرفُ ليلى بالقصير
لم يطلُ حتى دهانى بالهوى نائمُ الأطراف فتانُ النظر
فكانَ الهجرَ شخصٌ مائل كلما أبصره النومُ نفر
وقلت : صيرنى البينَ عرضة الحين لا أربحَ اللهُ صفقةَ البين
قد طالَ يومى وليلقى بهمُ لما يزالا بهمُ قصيرين
كانَ قليلاً لدى مكثهما فكنتُ أدعوها الجديدين
فطالَ بعدَ الحبيبِ لبثهما فصرْتُ أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد
كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره في الغزل .

وقال آخر :

يا ليلة طالت على عاشقي منتظري في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفيق وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر
وقال غيره : وليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر
وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوه وغيمه وضياءه وظلمه كأنه مستعر قد ابتسم
مازالت فيه عاكفاً على صنم مبهف الكشح لذيد الملتزم
تفاحه وقف على اثم وشم وبانه وقف على هصر وضم
ياطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش إذا طاب قصر
في ليل كأباهيم القطا لست تدري كيف تأتي وتمر
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرًا أغرّ محجلاً فقمنّا به في ظلّ فينان مورك
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنين إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تتقى
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعراباً قول جرير :

أبدّل الليل لا تسرى كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليـل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب ^(١)
 نعيم الحب أودق فيه حتى تناولنا جناؤه من قريب
 بمجلس لذة لم نقو فيه على الشكوى ولاعد الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمانن هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنْتُ إذا علقْتُ حبالَ قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حينَ يحسنُ محسنوهم وأجتنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فآتى مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والعيش غصن والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهر

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :
 ظللنا في جوار أبي الجنا ب يوم مثل سالفه الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كابها القطاة محبب إلى هواه ^(٢) غالب لي باطله
 رزقناه الصيد العزيز ولم نكن ^(٣) كمن نبه محرومة وحبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب
 « إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصعد الغزير ولم يكن) .

فقال وبيله وما ينفعه خير يزول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فبالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدك كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلد الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تعد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلةً تشبه اللحظة في انتقاها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعا مثلها أنشطت دهاء من عقلمها
 ﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك
 أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُغَي وقد جاوروا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتوناه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رعيلى أدأوى منوطة بلباتها مربوعة^(٤) لم تمرَّ رخ^(٥)
 إذا مسَّ ربَّخ عَطت^(٦) مجال سرائه تمطت فخطت بين أرجاء سربخ
 فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

-
- (١) في الأصل (من بنى صعصعة) . (٢) في أمالى القالى زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالى (فينفذ حكمه على من حضر بيكر للشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الاصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أى تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالى .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أَخْرِيَاتِهَا مُسْلَاءٌ يَنْقِي مِنْ طِلَاسَةٍ خُضِرَ
تَحَالَ بَقَايَاهَا الَّتِي أَسَارَ^(١) الدُّجْبِي تَمَدُّ وَشِعْمًا^(٢) فَوْقَ أَرْدَبَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلَّتًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِيَّ بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُ فَأَرِيكَ فَقْدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا
قَالَ أَبُو هَلَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جِيَدِهِ
وَرَدِيئِهِ كَانَ غَرِيزًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ فَعْلُ هَذَا
الشَّيْخِ وَاسْتَفْزَازَ جِيدِ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيبًا مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْآمِنِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا تُطْرَبُ
عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أُطْرَبُ عَلَى حَسَنِ الْغَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبْحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ
عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيهًا :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارَى الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى مُشَهَّرٌ
كَلَوْنِ الْحَصَانِ الْأَنْبُطِ الْبُطْنِ قَائِمًا تَمَازَلُ عَنْهُ الْجِلْدُ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيهِ وَأَكْمَلُهُ : الْأَنْبُطُ : الْأَبْيَضُ الْبُطْنُ ، شَبْهُ بَيَاضِ الصَّبْحِ تَحْتَ
حَمْرَتِهِ بَيَاضُ بَطْنِ فَرَسٍ أَشْقَرُ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتَزِ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرَخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

(١) السُّورُ: الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ، يُقَالُ إِذَا شَرَبْتَ فَاسْتَرْ . (٢) الْوَشِيعَةُ : لَفِيفَةٌ مِنْ
غَزَلٍ، وَتَسْمَى الْقَصَبَةُ الَّتِي يُجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةُ الثَّوْبِ لِلنَّسِجِ وَشِيعَةٌ . (٣) الْبَرْكَ
إِبِلُ أَهْلِ الْحَوَاءِ بِالْعِلَّةِ مَا بَلَغَتْ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبِلُ الْبَرْوَكُ، وَقِيلَ الْبَرْكَ: أَلْفُ بَعِيرٍ .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنهٌ ظليمٌ على نِيضٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالجبشي قَرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما بضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فممتُ والليلُ يحلوهُ الصباحُ كما جلا التيسمُ عن عُزِّ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ * وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشمطِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسك بالكافور

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحما
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمهُ واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجرهِ في ليلة كفريس بيضاء دهماء اللب

وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورَّدٌ مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طويْنَا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسك وقابلهُ للغربِ بردٌ ممشق
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرق
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءَهُ تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمةٍ مطرقاتٍ بالصباح معلمة
أخطرُ في بردتها المسهمه والروضُ في خلته المنمنمة
قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
وقدوشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطرُدُه النهارُ ولا أرى كالايلَ يطرُدُه النهارُ طريدا
وتراه مثل البيتِ مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
والصبحُ قد نسّم في أدبمه يدعه يطرُّ في حيزومه
دعى الوصى في قفا يتيمة

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أننى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلَ أجنحة الفجر
والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى *
وقال العلوى الاصفهاني :

وليل نصرمت النى فيه على الرشد وأعديت فيه الهزل منى على الجد
وضيعت فيه من عناقٍ معانقٍ فظنَّ وشاقى أننى نائمٌ وحدى
الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرط السيفُ اليمانى من النعد
وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلاً ذيله كالنيل يخطرُ في نوادى يعرب
وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
كأنه غرّة مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوءَ الصبحِ فاستبيننا وقال التنوخي: والثرثيا كدواءِ
كما أرتنا المفرق الدهينا وبدا الفجرُ كسيفٍ
خافق من فوقِ مرقب وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل
في يدِ الجوزاءِ مذهب ترفع عنه منكب الليل فانجلى
وفي اثره للصبح بلق شوائل وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالخسام علاه علق فوقَ شفرتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الاصباح عن أشقرورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورداً اخد في الصدغ الجعد
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمسُ الاصيل لهم حتى توقدَ في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عُريانُ يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداءً وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزَّاحِ—ف يزجى خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي
كأنَّ العازفَ الحنى أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوم
وقلت: وقد غدوت وصبغ الليل منتقص وغرة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنبها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وأنجاب الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقي ثوبٌ معصر
ولون كدراع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرُ أصفر
إلى أن علتُ وابتيضَ عنها اصفرارها وجالتُ كما جالَ المليحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حين تَعْلُو وتارةً تراه إذا مالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا ولتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ وتحيا كلَّ يوم وتنشر
وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبٌّ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول
ولا عراية تذكر السحاب :

تطالعني الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارها

فتستّر غُرَّتْهَا بِالْحَمَارِ طَوْرًا وَطَوْرًا تَزِيلُ الْحَمَارَا ^(١)
 وقال ابن المعتز وأغرب :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمِقُنَا بِلَحْظِ خَفِيَ مَدْنَفٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ
 تَحَاوُلُ فَتَقَ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَمَنِينَ يَرِيدُ نَسْكَاحَ بَكْرِ
 وقال ابن طباطبا :

وَأَقْدَيْتَ عَيْنَ شَمْسٍ فَحَكَتْ مِنْ خَلَلِ الْغَيْمِ طَرْفَ عَمَّاشٍ
 وَقُلْتَ: يَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ كَمَا أَشْرَقَتْ فَوْقَ الْبَرِيَةِ زَيْنِبُ
 يَفْضُضُ مِنْهَا الْجَوُّ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَكِنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ فِيهَا مُدْهَبُ
 وَتَحْسَبُ عَيْنَ الشَّمْسِ إِذْ هِيَ رَفَعَتْ عَلَى الْإِفْقِ الْغَرْبِيِّ شَبْرًا يَذْرُبُ
 وقالت في يوم صحو :

مَلَأَ الْعَيُونَ غَضَارَةً وَنَضَارَةً صَحْوٌ يَطَالِعُنَا بِوَجْهِ مَوْنِقِ
 وَالشَّمْسُ وَاضِحَةٌ الْجَبِينِ كَأَنَّهَا وَجْهُ الْمَلِيحَةِ فِي الْحَمَارِ الْأَزْرَقِ
 وَكَأَنَّهَا عِنْدَ انْبِسَاطِ شِعَاعِهَا تَبَرُّهُ يَذُوبُ عَلَى فُرُوعِ الْمَشْرِقِ
 جَرَّتْ إِذَا بَكَرَتْ ذُبُولَ مَزْعَفِرِ وَتَجَرُّهُ إِنْ رَاحَتْ ذُبُولَ مَمْشَقِ
 فَشَرِبَتْهَا عَذْرَاءٌ مِنْ يَدِ مِثَالِهَا تَحْكِي الصَّبَاحَ مَعَ الصَّبَاحِ الْمَشْرِقِ
 وقال ابن طباطبا :

وَشَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي رِداءٍ مَعْصِفِ كَأَسْمَاءٍ إِذْ مَدَّتْ عَلَيْهَا إِزَارَهَا
 وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
 حَتَّى عَلَا الطُّودُ ذَيْلَ مَنْ أَصَانِلُهُ كَمَا يَصْفَرُ فَوْدَى رَأْسِهِ الْحَرْفِ
 وقال أبو نواس :

قَدْ اغْتَدَى وَالشَّمْسُ فِي حِجَابِهَا مِثْلَ الْكُمَابِ الْخُودِ فِي نَقَابِهَا
 وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

(١) ستأتى هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني .

كَأَنَّ خَبِيرَ^(١) الشَّمْسِ ثَمَّ غُرِبَ بِهَا وَقَدْ جَمَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَسَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْنَقُ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثَمَّ تَغْمِضُ
وَمَنْ جِيدَ مَاقِيلٍ فِي أَحْمَرِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :
وَكَأَنَّهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ بِجُفُونِ عَيْنِ الْارْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَنَقَتْ^(٣) شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لَتَقْضَى نَجْمُهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا وَتَشَعُّشَا
وَلَا حِظَّ النُّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَأَنَّهَا عَوَادَةٌ^(٥) عَيْنٌ مَدْنَفٌ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَزَلَّتْ عَيُونَ الرُّوضِ^(٦) تَحْضِلُ بِالْمَدْنَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدْمَعَا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهَا خِلَا صَفَاءٍ تَوَدَّعَا
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالْشُرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدٌ تَلَاخِظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قِصُورِ عَلَيْهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) تَضِيءُ وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحُجُبِ
يَبِضُ إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبْتَ أَطْرَافَهُنَّ مِنْ ذَهَبٍ

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَبُو » .

(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفُقُ) .

(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَفَقَتْ » .

(٤) الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّمْسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَفَرِّقًا .

(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .

(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ « عَيُونَ النُّورِ » .

(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِفَةٍ » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيبٍ ليطها واصفرارُها
ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :
فاذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذهب
آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .
(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الثاب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٢	ترجمة المؤلف .
٦	صورة آخر النسخة الشنقيطية .
٧	مقدمة الديوان .
٨	أحسن ما قيل في وصف شعر .
١٠	النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .
١٠	أحلب بيت قالته العرب .
١١	أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .
١٤	أبواب ديوان المعاني .
١٥	الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .
١٥	الفصل الأول : في المديح .
٧٦	الفصل الثاني : في الافتخار .
٩١	الفصل الثالث : في التهاني .
١٠٣	الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك .
١٥٧	الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
١٥٧	الفصل الأول : في المعاتبات .
١٧٠	الفصل الثاني : في الهجاء .
٢١٦	الفصل الثالث : في الاعتذار .
٢٢٢	الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك .
٢٨٦	الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك .
٢٨٦	الفصل الأول : في ذكر النار .
٢٩١	الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
٣٠٥	الفصل الثالث : في وصف الشراب .

٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

٣٣٣ الفصل الاول : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، ومايجرى مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

﴿ استندراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن

٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبح الحلقة وغير ذلك

٢١٥ ٤ لا تخدعنه بأثواب مصبغة

٢٣٧ ١٠ وغدا فم عليه عند رقيه

٢٤١ ١١ كأن على أنيابها الخر شجها

٢٤٩ ١ وعانت حلق من صدغه حلقا

٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجللته اجلال باريها

لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها

٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي

٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة

٢٩٣ ٧ يقشر جلداً منه كالنضار

٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه

٣١٤ ٧ هذا الشعر للمخبل اليشكري لا للاختل

٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى

٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه

٣٢٣ ٢٢ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه

٣٢٤ ١١ فأت تنف الهم عنا

(إختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الاول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كركنو

الصفحة السطر					
١١	١	تقولى.. هاجعة	٣٣	٥	ليسقط عنه
١١	٥	أبوعروة المدني	٣٣	٧	عند إتيان
١١	٨	نصرى	٣٣	١٣	المماطرة
١١	١٥	الثرة الصنى	٣٣	١٤	ومنا الثاء
١١	١٨	السوءلا	٣٤	١٦	قسطل
١٢	١	لعيس	٣٥	٧	وأنت مليح
١٢	٣	وأتمزها	٣٥	١٦	ذمارها
١٢	١٦	كالسيف أو جههم	٣٨	٥	وفرا
١٢	١٩	اللحاء	٤٠	١٤	دماذ
١٨	١٠	السبك	٤٠	١٦	ضيف.. الخفرات
١٨	١٤	خضرا	٤١	١٢	أبى عكرمة
٢٠	١٢	حول سريه	٤٤	٩	بخفان
٢٠	١٧	أغر أروع	٤٤	١٩	٢٠٠٠ ثامل
٢٠	١٨	فانك كالليل	٤٧	٥	وبصدره
٢١	٢	كحى أدركته مقادره	٤٧	٨	الكوماء.. تنحرى
٢١	٥	مبثوثاً	٥٧	٣	من الشجاعة
٢١	٨	لا عار	٥٨	١٣	غر الرداء
٢١	١٠	فيه عار	٦٠	٢١	وأحسن منهما
٢١	١١	سرار	٦٠	١٩	تقريباً إلى أن
٢٢	١	من أخذ	٦١	١١	مر كوز
٢٣	٢	ترنو	٦٣	٢٠	يافيض
٢٣	٧	إلى بابه	٦٥	٣	ابن حرى
٢٥	١٥	أبقى.. الصم	٦٥	٢٢	هفان.. ثوابه
٢٦	٢	بن فانتك	٦٦	٤	أبو الغراف
٢٧	٧	أبو أحمد	٦٦	٩	أثلمته حوامله
٢٧	١٧	محدد	٦٦	١١	فيوم تحوط
٢٧	١٨	للممدوح	٦٦	١١	ما تغب نوافله
٢٨	٧٠٠: ٦٨٠	ابن دواد	٦٨	٥	دوارج
٣٠	٤	الفيض	٦٨	١٩	كادعيت
٣١	١٠	أحسن لحظة	٧١	١٥	أو أزرهم
٧٢	١٢	أكفاؤه	٧٤	٢	الخريمى
٧٨	١٧	المثالى الشاعرون	٧٩	١٠	أمون.. لحاءها
٨١	١٦	الجماف	٨٢	٧	أخرانا
٨٥	١٧	الجمانى	٨٥	٢١	فقري غنى
٨٦	٣	ولا يحال	٨٦	٥	نبوه
٨٧	١٨	جيينه	٨٧	٢٠	بالأفول
٨٧	٢٠	على الوقود	٨٧	٢٠	واعقدت
٨٨	١	إلى الكوم	٨٨	١١	أشوى
٨٩	١٠	أو القنان	٩٠	١١	العاصمون
٩٠	١١	العارمون	٩٠	١٨	ومنى
٩١	١٤	الفصل الثالث	٩٢	٥	شييا بماء فعادا
٩٢	١٠	تنشر أعياداً	٩٢	١٣	راعيه
٩٢	٢٠	كهذا	٩٣	١٥	بلبل
٩٤	١٢	أبى هفان	٩٥	١٧	يهدى للجليل
٩٦	١٦	عنان الفكر	٩٦	١٧	بيديه نارها
٩٦	٢٢	إلى من وليه	٩٦	٢٢	أزهرهم

٩٧ ١٥	اقتفروا	١٥٣ ٤	أن يحل به	٤٩ ٩	شيمت
١٠٠ ١	ولشاؤه	١٥٣ ٦	وبادرت منه	٥٠ ٦	وما ظلم
١٠٠ ١٧	تجلى لك	١٥٥ ١٦	زفر	٥٣ ٧	ويمرع
١٠٢ ٦	من مواليه	١٥٨ ١٢	راضى سنة	٥٤ ١٠	وتدولوا وعودا
١٠٢ ٢٠	ويليقك ثواب	١٥٩ ١٠	بجنب الستار	٥٥ ٧	مد العلاء
١٠٦ ٥	إنك	١٧٠ ١٧	بطائشة الصدور	٥٦ ١٦	٢٠ خدى
١٠٦ ٢٢	بلبال	١٧٣ ١١	دوبل .. دوبل	١٤٥ ٧	مذهبه
١٠٩ ١٠	آلف	١٧٥ ٢٢	يزقق	١٤٩ ١٨	عليم بن جناب
١١٠ ٣	يواكب	١٧٦ ٢	جذمة	١٥٠ ٢٠	سعيد بن مسلم
١١٠ ٩	تقذيتها	١٧٦ ٧	تغلب	١٩٦ ٧	بذى شكر
١١١ ١	مجدلا	١٨١ ١٦	به الدعى	١٩٦ ٨	نحوى جمية
١١١ ٢	بما لم	١٩٨ ٣	تكن لتكون	١٩٦ ١٩	فى التطير
١١١ ٣	أغشى	١٩٨ ١٠	أمين	١٩٩ ١١	وأدغمت أبا
١١١ ٧	أخم	٢٠٦ ٢	الدار يطوف	١٩٩ ١٥	ثنتنى عنك
١١١ ٢٠	مادلك	٢١٣ ١٥	غادر الرفض	٢٠١ ٦	فيه مزمأن
١١٢ ١٣	الصقعب النهدي	٢١٣ ١٨	وقعتما للحين	٢٠١ ٧	ظاهرة سوم
١١٢ ٢١	قدجبت جلبابه	٢١٣ ١٩	زوراذوى السنة	٢٠١ ١٧	كما تزيد
١١٣ ٦	رفيقة	٢٣٣ ١١	فيزيد فيها	٢٠٢ ١١	بسلب الصفات
١١٤ ١٨	بلعاء	٢٣٣ ١٦	أملود	٢٠٢ ١٥	عن الأشاندانى
١١٥ ١٠	يجر	٢٣٣ ١٧	سب. وطاق	٢٠٢ ١٨	كالذبيخ
١١٨ ٦	عبيد بن الأبرص	٢٣٤ ١٩	يا اسلى	٢٠٣ ١٩	ابن مهرويه
١٢٢ ٥	وأثنى غير	٢٣٧ ٨	فيها بدرها	٢٠٦ ٢٠	وتنتنى حتى
١٢٢ ١٨	دجاجة	٢٥٣ ١٤	الغزى	٢٠٨ ٢	كسير الجناح
١٢٣ ٨	ابن ميادة	٢٥٥ ١٣	يذاب بعينى	٢٠٨ ٣	خامد المصباح
١٢٦ ٥	عفى الحساب	٢٥٦ ٤	فأسبلت	٢١٠ ٦	وسهاد الحية
١٢٨ ٢٢	ألعمة الله	١٧ ٥	غضبة	٢١٢ ٣	به من دمامته
١٣١ ٩	المشقر	٤٢ ١	تكدر عيشة	٢١٣ ١	أظهر فيه
١٣١ ١٣	راوية .. ابن	٧٦ ١٤	حبث	٢١٤ ٨	غادية
١٣٢ ٣	تتعجب	٩٢ ٥	قعبان	٢١٥ ١٧	ولا تأتبنى
١٣٢ ٤	تجنب	١٢٥ ١٥	بختري	٢١٦ ٧	فى بيتى
١٣٣ ٦	حلحلة	٢٤٩ ٤	شارب	٢٢٠ ١٨	وللقارف ذنباً
١٣٣ ٧	بوانى	٤٩ ٥	آراؤهم	٢٢١ ٢	أرى الراغب إلى
١٣٦ ٧	قول عمارة			٢٢١ ٤	الهيبة الحية
١٥١ ١٥	التضافر				
١٥٣ ٣	ويهدم صالحى				

٢٩٦ ١٥ من المن	٢٦٣ ٨ الهوامى الهوامع	٢٢٥ ١٥ دمع احدره
٢٩٦ ٤ فى السقى	٢٦٣ ٢٠ قوم موسى	٢٢٦ ١٣ عند خود
٢٩٨ ١١ أتغرف من	٢٦٤ ٨ كمت فى	٢٢٨ ٨ ونبتها قالت
٢٩٨ ١٦ المعتدة	٢٦٤ ١٤ الحسن عليه	٢٢٨ ٢٢ الحسن بسطة
٣٠٠ ٣ الكيسة الحازمة	٢٦٤ ١٧ معاً فلم	٢٢٩ ٤ يضاء كالفضة
٣٠٠ ٧ صادفت منا	٢٦٥ ٢ أظرفه	٢٣١ ٤ قاسنى بالبدرد
٣٠٠ ١٩ وقد تردى	٢٦٥ ٢٣ لشدما	٢٣٢ ١٥ حسنه .. حفلت
٣٠١ ١٠ موشى تحال	٢٦٦ ٨ الوصل شافيا	٢٣٧ ٦ عين تفل
٣٠٢ ١٧ ثغر .. الواضح	٢٦٦ ١٠ وأرحم	٢٤٠ ١٣ يحسبها أحور
٣٠٤ ١٠ فدون السمن	٢٦٦ ١٤ لم يك	٢٤١ ١ مشرب عذب
٣٠٤ ١١ طيف سلمى	٢٦٩ ١٨ فى الشمس	٢٤٢ ١٤ بد لها
٣٠٤ ١٤ منسر الباز	٢٧١ ٥ فغافصاه	٢٤٤ ٤ وأثنى
٣٠٨ ١١ سبها التجر	٢٧١ ١١ ياجنان	٢٤٤ ١٤ زق أمات
٣١٠ ١ أرى نجمين	٢٧٢ ١٠ يعش .. المنون	٢٤٤ ١٦ فأفضيت
٣١٠ ٥ ووجنة	٢٧٢ ٢٠ اقتياد .. صاحبه	٢٤٥ ١٩ قلقت وشحه
٣١٠ ١٣ ذهن لطيف	٢٧٣ ١ فى يستن	٢٤٦ ٨ تغصبن .. انتعلت
٣١٢ ١٨ وقد حجب	٢٧٦ ١٠ سفعة	٢٤٧ ٧ طرة .. طرة
٣١٥ ٣ اله ان	٢٧٧ ١٠ يشنى الجوى	٢٤٧ ١٤ أوبالمى
٣١٥ ٦ لهو آلى	٢٧٧ ١٣ زف .. خياني	٢٤٨ ٢٢ قرنوا
٣١٥ ١٧ لىأتى ما	٢٧٧ ١٨ معان جياذ	٢٤٩ ١ أو كالجم
٣١٨ ٢ فأزرى	٢٧٧ ٢٠ ولاطارقاً	٢٥٠ ١٦ وما سلمى
٣١٨ ١١ راضعت	٢٧٨ ١٥ ونحن مفترقان	٢٥٠ ١٨ وصف الساق
٣١٩ ١٣ على الأجسام	٢٨١ ٥ ليلة القرر	٢٥١ ٣ نقطن أذقاناً
٣٢٠ ٢ ذكر مزاج	٢٨١ ١١ حجاً ماً	٢٥١ ١٣ القوام والترنح
٣٢٥ ٥ بميل	٢٨٢ ١٢ من نزوح	٢٥٢ ١٠ إلامشاشة
٣٢٦ ١٨ والارض به	٢٨٤ ٢ فنبهن	٢٥٢ ٢١ يخرق
٣٢٧ ١٥ ابن سريج	٢٨٥ ٨ تنفض	٢٥٤ ٢١ خلص
٣٢٧ ١٨ عمل زلزل	٢٨٩ ١٩ وجواثم سفح	٢٥٥ ٤ أطراف خرمة
٣٢٧ ٢١ فى جس	٢٩٠ ٣ موقوفه بين	٢٥٦ ٦ كما سقى
٣٢٨ ٤ أحرفه	٢٩٠ ٢١ تصبغ بالدماء	٢٥٦ ٢١ السيف الصقيل
٣٢٩ ٤ كما يتداوى	٢٩٣ ٥ فى جودابة	٢٥٧ ١٢ فاض من
٣٢٩ ١٩ دكن الظواهر	٢٩٦ ١١ أرج العطر	٢٥٨ ١٥ كويم المطايا
٣٢٩ ٢٠ فى تباين		٢٥٩ ٦ من طيبها
		٢٥٩ ١٠ يغمر كل

٣٣٠	أدافعهم بالكفين	٢٠ ٣٣٩	كما غرض	١٦ ٣٥٣	القصاص
٩ ٣٣١	هزور	١٢ ٣٤١	والعيد زين	٩ ٣٥٦	الاشط .. سمل
١٤ ٣٣١	ساحرة	٣ ٣٤٢	اللزادة	٧ ٣٥٧	المقوض ستره
١٦ ٣٣٣	كما تنو	١ ٣٤٣	قول مضرس	١٠ ٣٥٧	يدعه بطرفي
١ ٣٣٤	وألقابا	١٦ ٣٤٨	مذبانوا	١١ ٣٥٧	دع الوصي
٩ ٣٣٥	دنو الدلو	١٧ ٣٥١	نعننا به	٥ ٣٥٩	قل في الشمس
١٩ ٣٣٥	تنو من براقع	١٨ ٣٥١	ليس يرد	٩ ٣٦٠	هي رنقت
١٧ ٣٣٩	من قنوق	١١ ٣٥٢	بحو سويقة	٩ ٣٦٠	تبرأ يذوب

ويزيد ما قبلها من شعر المتقدمين قولاً في البيت
 صلاة طيب ليطها وأصلها من شعر المتقدمين ما قبلها
 ما قبلها من شعر المتقدمين ما قبلها ما قبلها
 ما قبلها من شعر المتقدمين ما قبلها ما قبلها
 ما قبلها من شعر المتقدمين ما قبلها ما قبلها

في طرفة العين

الحمد لله على نعمه النامه واداءه الحاصه في انشاء السحاب العجايب
 وتحويل النار السلسله لتفقد النعم والنعيم ويرسلهم رحمة للأنام ونظر الأنعام
 فله الحمد والآخر والصلى على نبيه الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ومهيأاً
 بآياته وبراهينه وعلى آله الطاهرين وعترته المنتجبين وقد رأينا العجايب كما رأينا جبروت
 في قوسك وبسبيل سلمها وترج منكم ما في الصباغ اوابها واداء اسبابها كيف تحملها وتر
 مشايرها كيف فيها كل واحد واحد منها فمصيب وعقوبتها كيف تدب وكنت جعلت كتابي
 الموسم برون المعاني مشتمل على ابي عن ابي فمصيبها حصة بريقه وابت بعض الناس يستكبر
 محه ويستنقل سمه فمصيب كتابها كما فمصبه ويميز جدره ليرى ما من ويسهل سمه
 وتسبح الهمة البير ولكن الانفتاح ان شاء الله تعالى في التوفيق

هذا كتاب المبالغة

في صفة السحاب والمطر والبرق والظلمة وذكر المياه والرياح والنبات والاشجار والرياحين
 والثمار والسموم وما يجري مع ذلك وهو **الباب السابع** من كتاب
 ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول **الفصل الاول في صفة السحاب**
 والمطر والبرق والرعد والثلج والبرق اخبرنا الواحد عن ابي بكر بن دريد عن جابر
 عن الاصمعي قال قال عمر بن الخطاب اي قول الشعر في المطر شعر قال قول امرئ القيس
 ديمة هطلانها وطف طوق الأرض بحرى وتذر قوله طوق الأرض غائبة في وصف عموم
 السحاب أراد انها على الأرض بمنزلة الطبق على الأرض كما اعرف احد اخاه فاجاده الملائكة الرومي
 حيث يقول سحاب قست بالبلاد فالتفت غطا على اغوارها ونحوها
 حديثها المعاني منقولات فاقلت نهدي ويدا سيرها كركوها قوله سيرها كركوها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المخطوطة البريطانية)